الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مادة مدخل إلى الأدب المقارن

مطبوعة مقدمة لطلبة سنة ثانية ليسانس دراسات أدبية

إعداد:

د.وليد خضور

الموسم الجامعي:

2022-2021

بطاقة المادة:السنةالثانية ليسانس شعبة دراسات أدبية

السداسي الثالث:2021-2022

مدخل إلى الأدب المقارن

مفردات المحاضرة

01	المفهوم والنشأة والتطور 1
02	المفهوم والنشأة والتطور 2
03	مقومات البحث المقارن
04	مدارس الأدب المقارن:الفرنسية
05	مدارس الأدب المقارن:الأمريكية
06	مدارس الأدب المقارن:السلافية
07	مدارس الأدب المقارن:العربية
08	مباحث الأدب المقارن:رحلة الآداب
09	التأثر والتأثير
10	التيارات
11	النماذج البشرية
12	الأجناس الأدبية
13	الأدب والأسطورة
14	الموضوعات

مقدمة:

تُحاور هذه المحاضرات مادة الأدب المقارن والتي هي من أهم المواد المبرمجة على الطلبة في ميدان الأدب واللغة العربية وبالخصوص طلبة دراسات أدبية،لما فيها من غزارة معرفية وتقاطعات بين تخصصات علمية متعددة،وعليه ينبغى للطالب أن يلمّ بهذه المادة من خلال الأخذ بأهم قضاياها،والتعرف على أبرز روادها،وضبط مصطلحاتها ومقولاتها النقدية وهذا ما قد يحقق للطالب أرضية تكوينية تساعده في بناء رصيده العلمي وإثراء معارفه التخصصية.

بناءا على هذا قُمت بإعداد هذه المحاضرات التي توكأت فيها على ما يصطلح عليه بـ"السيناريو البيداغوجي"في النصوص التوجيهية التي تخص التدريس بنظام (ل م د)؛وهو أن يقوم الأستاذ بإعداد المحاضرة وتقديمها للطالب مستندا إلى مجموعة من المعطيات السياقية والبنيوية فيما يخص نسق الحاجات العلمية للطالب،وظروفه النفسية و قناعاته الاجتماعية،والحجم الساعي للمادة وكذا طبيعتها المعرفية،ومدى قبول الطالب لهذه المعارف،وتوافقها أو اختلافها مع المنحى التعليمي والاجتماعي والنفسي والأخلاقي عنده،وعليه يكون الأستاذ ملزما بالإحاطة بهذا المساق البيداغوجي،حتى يتمكن من تقديم مادة معرفية متوازنة،ويحقق التواصل البيداغوجي الناجح ويستطيع الطالب بناء معارفه بما يتوافق مع تطلاعاته ومحيطه الاجتماعي والثقافي،و يتمكن الأستاذ كذلك من تحصيل تصور شامل عن كيفية تقييم وتقويم الطالب في هذه المادة.

وعليه كان الحرص في إعداد هذه الدروس يتناغم مع هذه المعطيات،من حيث أن مادة الأدب المقارن هي مادة ثرية يصعب تجيعها في أربعة عشر مفردة،ولذلك عملت على أن تكون المفردات متناسقة ومنسجمة لا هي بالطويلة المملة والثقيلة،ولا بالقصيرة المكثّفة و المختزلة،ابتعدت فيها عن الغموض شارحا كل المفردات السديمية والقضايا الاشكالية،وتجاوزت تركة من الدروس والمادة العلمية التقليدية التى درجنا على تقديمها في الأدب المقارن،مما أعطى انطباعا لدى الدارسين برتابة وجمود الأدب المقارن وغياب التصورات والرؤى الجديدة فيه،وما هذا إلا لأن

المادة التى أعتدنا على تقديمها،هي مادة مكررة نعيد تدريسها بالمفردات نفسها وعلى المنوال ذاته،وبغية تجاوز هذا المطب سلكت طريق البحث عن أهم المراجع والكتب في الأدب المقارن التي تقدم مادة ثرية وجديدة؛وهنا الجدّة من حيث الطرح لا غير،كون هذا الحقل المعرفي توقف على تقديم الجديد على مستوى النظرية والممارسة،فعدت إلى أبرز المنظرين في الأدب المقارن عند الغرب من خلال كتبهم وربما أهمها:

- دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد.
- كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز.
- ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب.
- سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن.

كما حاورت أهم الكتابات العربية في الأدب المقارن،مجتهدا في تقديم قراءة في بعض الأعمال التى وجدت أنها قدمت إضافة ولو بسيطة مثل كتاب:أحمد عبد العزيز "نحو نظرية جديدة للأدب المقارن"أو كتاب فخري أبو السعود"في الأدب المقارن ومقالات أخري"وهو كتاب رائد في الأدب المقارن برؤيته الأنجلوسكسونية في مرحلة كانت المركزية الفرنسية مسيطرة على الدراسات العربية،ومن أهم الكتب العربية الأخرى أذكر:

- سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن.
- عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق.
- طه ندا،الأدب المقارن.
- يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن.
- ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن.

حرصت على ضبط المداخل التاريخية و المفهومية للأدب المقارن من خلال رصد جل التعريفات والمفاهيم الرائجة للأدب المقارن،و في محاضرات المدارس حاولت أن أُقارن بينها وأبرز أهم الخصوصيات فيها،مما يخلق للطالب شبه خارطة ذهنية تمكنه بعد الاطلاع على الدروس من التذكر الجيد والتميز بين المدارس،وفي ما يخص مباحث الأدب المقارن ركزت على آفاق الدراسات المقارنة والتداخلات المعرفية فيها،وانتقلت لمعالجة العلاقة بين الأدب المقارن ونظرية الأجناس الأدبية،وركزت على حجم استفادة الأدب المقارن منها،وناقشت موضوع الأسطورة وحاجة المقارن للإطلاع على الأساطير لتأسيس مرجعية معرفية بثقافة الشعوب تُسهّل عقد المقارنات بين آدابها،كما فرقت في هذا الباب بين دراسة الأساطير في الأدب المقارن ودراسة الموضوعات،و عموما حاولت الالتزام بما هو مبرمج في بطاقة المادة المبينة أعلاه.

أزعم في هذه المحاضرات جهدا بذلته،وطرحا مختلفا جسدته،أروم من خلاله تحقيق الفائدة المعرفية للطالب وتشجيعه على الخوض في عباب الدراسات الأدبية المقارنة.والحمد لله رب العالمين.

المحاضرة الأولى:المفهوم والنشأة والتطور1:

تقديم:

نحاول من خلال هذه المحاضرات تقديم احاطة متكاملة بمادة الأدب المقارن استنادا إلى المفردات المبرمجة علينا؛حيث نقف على مفهوم الأدب المقارن ونشأته وتطوره ونعرض إلى أسئلة المقارنة ماذا نقارن؟وكيف نقارن؟ونتعرف على مدارسه وأهم أعلامه وقضاياه وموضوعاته وعلاقاته النقد وتقاطعاته مع العلوم الأخرى.

فرش تاريخي:

ولج مصطلح المقارنة غلى الحقل الأدبي،مع العدة الاصطلاحية التى كانت تهدف إلى رصد الظواهر المختلفة في الطبيعة،ومحاولة فهمها وعقد الصلات بينها من أجل تقديم التفسيرات ووضع القوانين التى تحكم الكون،ويخضع لها الانسان؛إذ ان المقارنة هي سمة بارزة في التفكير الانساني،وأداة ما فتئت تثبت نجاعتها في تقديم التفسيرات واستنتاج القوانين العامة والقواعد الكليةومن باب التاصيل للمصطلح في العلوم الانسانية،نجد أنه ظهر في نصوص وكتابات متقدمة،لكن الوعي به كان وليد القرن التاسع عشر،مرتبطا بالنزعة التثويرية للعلوم الانسانية[1].

ومصطلح الأدب المقارن في بعده التوظيفي يعود إلى سنة 1827 في فرنسا؛حيث يقف الباحثون على محاضرات"فيلمان وبرونتيير"التى اهتمت بدراسة تاريخ الأدب الوطني وعقد مقارنات بينه وبين اداب اخرى[2]،ويعتبر رينيه ويلك"Rene wellek"أن المصطلح ظهر في الدروس التى كانت تقدم حول الأدب في فرنسا سنة 1812 تحت عنوان"مقرر في الأدب المقارن"وذكر بأن التسمية

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1 1987،ص7.
[2]المرجع نفسه،ص7.

الألمانية له كانت التاريخ الأدبي المقارن"Vergleichende literature schichte"في كتاب "موريس كاريير""Moriz carriére"في عام 1854،وأن اول استخدام له في الانجليزية يعود إلى "ماثيو أرنولد""Matthw arnold" الذي ذكره تحت مسمى الآداب المقارنة عام 1848[1]

1.مصطلح الأدب المقارن في الميزان:

النظر في مصطلح الأدب المقارن يفتح امامنا عدد من الأسئلة والنقاشات المحتدة،التى تعرضت لماهية الأدب المقارن والهدف من دراسته؟وهل المقارنة في حد ذاتها هي الهدف البحثي؟وهل هو حقا دراسة اكاديمية قائمة بذاتها؟هذه الأسئلة التى طرحت في بداية القرن التاسع عشر مع ظهور الأدب المقارن لا تزال قائمة في أذهان الباحثين في القرن الحادي والعشرين عصية عن الاجابة،وصدى مقولات "رينيه وليك"حول أزمة الأدب المقارن بقي قويا في أذان الباحثين المقارنين إلى اليوم![2].

دافع "بينيديتو كروتشي""Benedetto crotche" عن وجهة نظره التى تعود إلى 1903 وهي أن الأدب المقارن هو" لا موضوع" ورفض أن يكون دراسة اكاديمية،فهو حقل مجدب يصنف في خانة الحذلقة العلمية،واقترح أن مايجب أن يدرس بحق هو تاريخ الأدب،فمصطلح الأدب المقارن فيه الكثير من الخلط والتشويش[3]،وبالمقابل هناك من اعتبر الأدب المقارن ذا أهمية كبرى أمثال "تشارلس ميلز جيلي""Charles mills gayley" و "فرونسوا جوست" " Francois jost "الذي يرى أن الأدب المقارن"**يمثل ماهو أكثر من دراسة أكاديمية فهو يقدم نظرة شاملة للأدب ولعالم الكتابة وهو دراسة للبيئة البشرية ونظرة أدبية للعالم ورؤية شاملة ووافية للكون الثقافي**"[4].

[1]سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،المجلس الأعلى للثقافة،مصر،ط1 1999، ص 17.
[2]المرجع نفسه،ص6.
[3]نفسه،ص7.
[4]نفسه ،ص8.

2.الأدب المقارن وتفسير النشأة:

يذكر الباحث"عبده عبود"في كتابه"الأدب المقارن مشكلات وأفاق"أن أهم أعلام المقارنية العربية"محمد غنيمي هلال"في كتاباته حول الأدب المقارن حركته النزعة القومية التى سادت في أواخر الخمسينات وبداية الستينات في العالم العربي ،فنسب أهمية بالغة لهذا البحث واعتبره"**علما من علوم الآداب الحديثة اخطرها شأنا وأعظمها جدوى**"[1]متماشيا مع ذلك المد القومي العربي الذي له فيه مصلحة مهنية غير خافية على أحد حسب عبود.

إن هذا التفسير الذي يربط ظهور الأدب المقارن في الثقافة العربية مع بروز المد القومي لا يقتصر عليها فحسب،بل يمكن سحبه على جميع الثقافات العالمية التى كان ظهور الأدب المقارن فيها مرتبط بهذه الخلفية الايديولوجية"القومية الوطنية"التى تعد الحافز الأساسي في ظهور الأدب المقارن،ففي المحاضن الأولى له في أوربا ارتبط ظهوره بعصر التحولات ودخول بعض الأمم والقوميات صراعها من أجل الاستقلال عن الامبراطوريات الكبرى في ذلك الوقت كالعثمانية والنمساوية المجرية والروسية القيصرية؛حيث برزت معالم دول قومية جديدة تمركزت حول مفهوم الثقافة الوطنية مقدمة مراجعات ثقافية لتراثها الفكري والأدبي[2]ولذلك ارتبطت دراسات الأدب المقارن دائما في مناطق عديدة من العالم بقضايا الثقافة الوطنية والهوية القومية[3]فنشاط الدراسات المقارنة في افريقيا واسيا وأمريكا اللاتنية ازدهر كذلك مع زيادة الوعي القومي ومحاولة تخطى الإرث الاستعماري ذلك أن"**الطريقة التى يستخدم بها الأدب المقارن في بلاد الصين أو البرازيل أو الهند أو عديد البلدان الافريقية،هي طريقة**

[1]عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق،منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريه،ط1 1999،ص9.
[2]سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،ص14.
[3]المرجع نفسه ،ص14.

بناءة،حيث يستخدم لاكتشاف كل من التقاليد المحلية"الأصلية"والتقاليد الوافدة "المكتسبة" ويفتح الباب على مصرعيه لمشكلة المعايير التى يقوم عليها الأدب المعترف به"[1]

إن مركز الاهتمام هنا هو النهوض بالثقافة الوطنية،فظهور الأدب المقارن في الهند على رأي"جانش ديفي" "Ganesh devy"يتوافق مع بروز القومية الهندية.

[1]سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة ،ص14.

المحاضرة الثانية: المفهوم النشأة والتطور 2:

تتصدر اشكالية المصطلح في غموضه وتعدده مباحث الأدب المقارن،فهو حقل معرفي في تطور دائم منذ أكثر من قرن،يصعب تحديد حدوده ويستعصى ضبط مفاهيم لمادة تتغير باستمرار[1]،فقد تكرر نظريا سؤال ما الأدب المقارن؟وتعددت معه الاجابات،وأصبح من الصعوبة بما كان أن تصل إلى تعريف له فيه خاصية الاستيعاب والبساطة والحسم،فإما ايجاز مخل أو استغراق في معضلات وتعقيدات اصطلاحية[2]،فلقد كتب بول فان تيغم وكتب ماريوا فرنسوا غويار و كتب كلود بيشوا وكتب أندريه ميشيل روسو وغيرهم ولم يقفوا على تحديد معنى واضح للأدب المقارن حسب رأي "هنرى باجو"[3].

ومن باب التوضيح أقول أن مثل هذه الاشكاليات التى تخص المصطلح في الأدب المقارن وتعريفات هي قضايا تعتبر اليوم تقليدية ومحسوم امرها في هذا الحقل المعرفي وما ذكرها هنا إلا من منظور دراسي تاريخي موجه و مبرمج على الطلبة،وبالعودة إلى مفهوم الأدب المقارن نقدم جملة من التعريفات المشهورة منها:

- الأدب المقارن يعنى بدراسة نصوص عبر ثقافات مختلفة وأنه واحد من المجالات الدراسية البينية وأنه يهتم بأنماط العلاقات في الآداب عبر كل من الزمان والمكان.[4]
- إنه دراسة تعنى بحقيقة"أن شيئا أدبيا نقل خارج حدوده اللغوية"[5].
- الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير ،وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى،أو تقريب الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها المتباعدة في الزمان والمكان،أو المتقاربة شرط أن تعود إلى لغات أو

[1]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريه،ط1 1999،ص 9.
[2]أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن،دار العلوم العربية،لبنان،ط1، 1990،ص7.
[3]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص9.
[4]سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،ص5.
[5]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص16.

ثقافات مختلفة تشكل جزء من تراث واحد من أجل وصفها بصورة أفضل وفهمها وتذوقها"[1].

- الأدب المقارن هو"تاريخ للعلاقات الدولية الأدبية"[2]
- عربيا يعرفه غنيمي هلال بقوله"دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجية عن نطاق اللغة القومية التى كتب بها"[3].
- أو هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب من خلال رصد كيفية الاتصال والتأثير والأخذ والانتقال؛هذا الانتقال الذي يكون في مستويات منها الألفاظ،الموضوعات،الصور،الأشكال الفنية،أو حتى العواطف والأحاسيس،والحدود في الأدب المقارن هي اللغات فاختلاف اللغة شرط اساسي،ذلك أن الأثار الأدبية التى تكتب بلغة واحدة تخرج عن مجال الدرس المقارن إلى الموازنة مثلا[4].

وكمحصلة لهذه التعريفات نستنتج أن:

الأدب المقارن ليس نوعا مميزا من النتاج الأدبي يقف في مقابل مثلا؛الأدب عربي/الأدب صيني/الأدب روسي،أو يقف في مقابل أجناس أدبية مثل؛القصة،المسرحية،الرواية[5]،إنما هو هو حقل معرفي ومنظور نقدي ومنهجية معينة في دراسة الأدب؛وبالتالي نحن ننتقل من مجال الإبداع الأدبي إلى مجال دراسة الإبداع الأدبي،وربما هنا يصبح مصطلح"الدراسة المقارنة للأدب"أقرب إلى المعنى من الأدب المقارن بوصفه مصطلحا حاز القبول والشهرة والاعتراف العالمي،وتفكيكا لمقولة "الأدب المقارن هو دراسة الأدب عبر الحدود القومية"نجد:[6]

---

[1] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد ،ص18.
[2] المرجع نفسه،ص7.
[3] عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق،،ص12.
[4] طه نداء،الأدب المقارن،دار النهضة العربية،لبنان،ط1، 1991،ص20/21.
[5] أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن،ص7.
[6] أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن ،ص8.

أن دراسة الأدب المقارن تكون من خلال منظورين؛المنظور التاريخي والمنظور النقدي؛

1.المنظور التاريخي:دراسة تاريخ الأدب في صورة أعمال منتظمة في نسق تاريخي بتطبيق مقولات التاريخ وهي:

أ.مقولة النسبية الزمانية والمكانية،لكل زمان ومكان تقاليد وذوق ومعايير ونظم تنعكس على الأدب،لابد من الرجوع إليها حال الدراسة.

ب.مقولة السببية:لكل عمل أدبي مسببات وراء ابداعه ،فالكتابة ليست وليدة الفراغ،فهناك مسببات شكلية"نماذج سابقة"و مضمونية"حوافز كتابية،وقضايا"

ج.مقولة النشوء والتطور:والتي تفسر نشوء وتطور وأفول أدب ما،أو جنس معين،وتضم التحقيب والتقسيم الزمني إلى عصور او حركات وأجيال أو تيارات ومدارس.

د.مقولة اليقينية:الدراسة التاريخية ترفض أي معرفة تقوم على الظن والتخمين والتكهن والاحتمال،فالتاريخ الأدبي لابد له من حقائق تاريخية موثوقة[1].

2.المنظور النقدي:النقد الأدبي ونظرية الأدب؛

هذا المنظور يرتبط بالتحول الذي طرأ على الدراسات الأدبية،بداية من تجاوز الدراسات التاريخي للغة والعدول عنها إلى الدراسة الوصفية،ومحاولة إضفاء الصبغة العلمية التى تكرّست في العلوم الطبيعية على العلوم الانسانية،وما نتج عن هذا التحول من منهاج ومدارس وتيارات نقدية.

وبالعودة إلى الجزء الثاني من التعريف،نقف على مفهوم الأدب القومي،فالقومية هي المعيار الفاصل في الدراسة الأدبية المقارنة،وبالنظر إلى مصطلح القومية نعرج على عدد من التخريجات والمعايير التى تضبطه؛فنجد أن المحدد الجغرافي والسياسي للقومية هو محدد

[1] أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن ،ص10.

اساسي ولكنه غير ثابت؛'ذ أن الحدود السياسية غير مستقرة ومتغيرة ولو عبر مراحل طويلة،ونجد المحدد اللغوي وهو محدد تقل فيه الاستثناءات ولكنها لا تنعدم،ومثال ذلك الأدب المكتوب بالانجليزية في أمريكا إلى أي قومية ينتسب؟والأدب المكتوب في الجزائر باللغة الفرنسية؟

3.أهمية الأدب المقارن:

- الانفتاح على الآداب الأجنبية والتخفيف من حدّة التعصب للغة والأدب القومي،ذلك أن هذه الحدة تقود إلى عزلة الأدب عن ما يساعده في إثراءه من الآداب والتيارات الفكرية والثقافية.
- امتلاك القدرة والدربة على تميز ما هو أصيل مما هو دخيل،وهذا ما يساعدنا في التعبير عن الخصوصية المحلية وتصديرها إلى العالمية.
- زيادة التفاهم والتقارب بين الشعوب بالإطلاع على الثقافات وطرائق التفكير[1].
- المساهمة في تقديم المعايير والقوانين التى بموجبها تظهر التيارات والنصوص الأدبية التى تحوز صفة العالمية.

[1]طه نداء،الأدب المقارن،ص29/28.

المحاضرة الثالثة:مقومات البحث المقارن:

تقديم:بعد ما تعرفنا في المحاضرتين الأولى والثانية على الأدب المقارن في مفهومه ونشأته وتطوره ،وعرضنا لأهم القضايا والمحطات التى لابد من الوقوف عندها في تعريف الأدب المقارن والإحاطة به،نحاول في هذه المحاضرة رصد مقومات البحث المقارن.

الحديث عن مقومات البحث المقارن هو استدعاء لشروط البحث المقارن وتحديد لمجالاته،إذ أن هذه الشروط والمجالات هي دعامات البحث المقارن والتى من خلالها يرسم حدود اشتغاله وشروط العمل فيه.

1.شروط وأدوات المقارن:

- المعرفة لأكثر من لغة إن أمكن،أو للغة القومية ولغة أجنبية واحدة على الأقل،وخاصة الانجليزية وتليها الألمانية في تصور "كلود بيشو"[1].
- تعتبر الدراسات التاريخية من أهم أدوات المقارن التى لابد له أن يمتلك فيها رصيدا معرفيا معتبرا يساعده على فهم التحولات التاريخية[2] ،وتطورها في أحداثها ونماذجها البشرية،فالثقافة التاريخية للمقارن كما يرى "غويار" "**تمكنه من وضع الأحداث الأدبية في ايطارها التاريخي**"[3]

[1]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،مكتبة الأنجلو المصرية،مصر ط3، 2001،ص263.
[2]طه ندا،الأدب المقارن،ص30.
[3]ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،منشورات عويدات ،لبنان فرنسا،ط2، 1988،ص15.

- الحاجة للدراسات النقدية حول علم الجمال،وعلم الاجتماع،والإبداع الأدبي،و الأنثروبولوجيا والاثنوغرافيا والدراسات الثقافية واللغوية :"**إذ ليس ثمة مقارن لا يكون لغويا**"[1].
- الإحاطة بعدد كبير من الآثار الأدبية أو النصوص الكبرى أو المعيارية"Canon"في العالم الإلياذة الأوديسة،الكوميديا الإلهية،رسالة الغفران،الشاهنامة،أعمال شكسبير وغيرها[2].
- الاطلاع على البيبليوغرافيا للأعمال الأدبية والفنية التى صدرت أو تصدر في كل عصر أدبي[3].
- استثمار مجال الرحلة في ما ينتج عنها من كتب ومرويات،وسفر من خلالها والتعرف على طبائع الشعوب وأمزجتها المختلفة،ورصد العادات والميول والطقوس.
- الاهتمام بالترجمة لما لها من أهمية بالغة في التعريف بالآداب وتسهيل انتشارها،وهنا يمكن طرح السؤال الملح علينا في المقارنة:هل يمكن الاعتماد على الترجمة أم قراءة الآداب بلغاتها الأم؟وفي هذا الصدد يمكن التأكيد على أن عددا من الآثار الأدبية الكبرى لم تشتهر إلا بالترجمة التى نبهت إلى ضرورة مقارنتها والاهتمام بها،فكثير من الرومنطيقين لم يعرفوا اللغة الألمانية لكنهم تأثروا بـ"غوته"،بيد أن معرفة حجم تأثير غوته يتوقف"**بتقدير الفارق بين النص الأصلي لغوته والنص المترجم**"[4] ومعنى هذا أن ترجمة تبقى أداة مساعدة فقط للمقارن الذى لا مندوحة له من معرفة اللغة

---

[1]المرجع نفسه،ص263.
[2]طه ندا،الأدب المقارن،ص31.
[3]المرجع نفسه،ص31.
[4]ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،ص16.
*كلمة يونانية من "Cosmos " أي الكون و| "Politie "أي مواطن ومعناه المواطن الكوني أو العالمي،وفي المعنى العام هو مذهب يعتنقه من يتجاوز نطاق الامة والشعب والقوم،ويدعو إلى مواطنة عالمية،يقول بلزاك"لكي تسكن في باريس ليس ضروريا أن يكون لك بيت أو وطن فباريس مدينة الكوزموبوليتي،أو مدينة الرجال الذين تزوجوا العالم واحسنوا ربطه بذراع العلم والفن والقدرة" للاستزادة ينظر: ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،ص12.

الأجنبية(لنا عودة إلى موضوع الترجمة في الأدب المقارن في محاضرة خاصة بهذا الموضوع)

2.ميادين ومجالات المقارن:

وهنا نعنى بالضبط ماهي القضايا والعناصر والبحوث التى تحدد مجالات الدرس المقارن؟

أ.العناصر الكوسموبوليتية*: لكل عصر كتبه وأدباؤه الذين يساهمون في التعريف بالآداب والبلدان ولذلك وجب أولا الاشتغال على الكتب والقواميس والمؤلفات اللغوية والآثار النقدية والترجمات التى تعمل على تأسيس مجال بحثي للمقارن،وثانيا الاشتغال على الأدباء ومعرفة حيواتهم و طرق عيشهم .

ب.المقارنة في الأنواع: الأجناس الأدبية عادة ما يلاحظ في ظهورها أنها تخضع لحتمية الولادة والنمو والموت،وفي الدراسة المقارنة يكون البحث في الأنواع مجالا ثريا تطرح فيه هذه الأسئلة المحركة لفعل المقارنة،فنقول مع "غويار"مثلا لماذا انتشرت الرواية التاريخية في البلدان الأوروبية في مطلع القرن التاسع عشر؟ولماذا في القرن السادس عشر كتبت قصائد الغزل والحب في أوربا في 14 بيت؟ما المؤثر في ذلك؟ولماذا يندثر هذا النوع المحدد بالذات؟وماذا تحول أو ماذا انتقل؟،وفي عملية المقارنة داخل الأنواع نحدد النوع ونثبت ما هو دخيل فيه وكيف تم استقباله؟[1].

ج.المقارنة في المواضيع:وهو ما يسميه الألمان تاريخ المواضيع[2]؛إذ هو بحث في الموضوعات أو التيمات لا في الأشكال،فهناك مواضيع نجها مشتركة في جميع الآداب حتى وإن تغيرت أسمائها وشخوصها.

[1]ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب ، ص24.
[2]المرجع نفسه ، ص 23/22/21.

د.تتبع المنابع:البحث في التيارات والمصادر الجامعة التى رفدت منها جميع الآداب والثقافات.

هـ.متابعة تاريخ الأفكار و الحركات والتيارات المعرفي

المحاضرة الرابعة:المدرسة الفرنسية:

تقديم:تعتبر الثقافة الفرنسية هي الحاضنة الأولى للدراسات المقارنة في العالم؛حيث أن الاهتمامات الأولى بالمقارنة تبلورت في المجال الثقافي الفرنسي،الذي مهد الأرضية الأولى للدراسات المقارنة،لما حملته هذه الدراسات من غايات معرفية تتوافق مع التطلعات الفرنسية في بعدها الثقافي والسياسي التوسعي كما أنها تخدم ذلك النزوع الفرنسي المركزي الذي يستلهم مفاهيم التميز والأمجاد التاريخية التى تَبرز داخل الممارسة المقارنة بين الآداب القومية في علاقاتها بالأدب الفرنسي؛إذ يعتبر سعيد علوش أن "**حوافز كثيرة من الأبحاث المقارنة الفرنسية على الرغم من كوسموبوليتيتها المعلنة تخضع لاعتبارات قومية ووطنية**"،مستشهدا بكتاب "فليب فان تيغم""التأثيرات الأجنبية في الأدب الفرنسي"الذي أحصى فيه حوالي 1220 عملا خاصا بالعلاقات بين الآداب الأجنبية والأدب الفرنسي[1].

1.تفسير النشأة والقضايا والأجيال:

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص62.

بالنظر إلى البعد المعرفي للمدرسة الفرنسية نجد أن،الاهتمام بالتاريخ الأدبي في فرنسا مع "تين"و"بوف"و "برونتيير"طرح سؤال كيف الخروج والخلاص من القمقم التاريخي، عند باحثين تشبعوا بمعطيات الدرس التاريخي إذ تحدث"بول هازار"عن"أزمة الضمير الأوربي"و"فان تيغم"في"الأدب المقارن"و"بالدنيسبرجر"في"بيبليوغرافيا الأدب المقارن"[1] وتشكل لديهم قناعة بضرورة الانفتاح في الدرس التاريخي وتجاوز الحدود الجغرافية في النظر التاريخي للنصوص.

وبرزت ملامح المدرسة الفرنسية مع تدشين أول كرسي للدراسات المقارنة وظهور اول مجلة،ففي سنة 1921 صدر العدد الأول من مجلة الأدب المقارن الفرنسية بمقال لـ"بالدينسبريجر"تحت عنوان "الكلمة والشيء"وهو عمل نظري تاريخي في مجال الأدب المقارن،وأعقبه صدور كتاب "فان تيغم" "الأدب المقارن" في 1931 الذي قدم مدخلا عاما حول الأدب المقارن،وكذلك كتب سلسلة"خزانة مجلة الأدب المقارن" التى نشرت فيها أهداف ومبادئ رواد المدرسة الفرنسية أمثال:"بالدينسبريجر و بول هازار وفان تيغم" الذين يمثلون الجيل الأول لهذه المدرسة،والجيل الثاني مع" جان ماري كاري وجاك فوازين وروني ايتيامبل و فرنسوا غويار"والذين حافظوا على استمرارية الطرح مع تطوير المناهج والأدوات، ومن ثم الجيل الثالث مع"كلود بيشوا و سيمون لوجون و هنري باجو"[2].

وعلى الرغم من تعدد أجيال هذه المدرسة يرى "سعيد علوش" أن تقاليد معالجاتها بقية واحدة وهي:

[1] المرجع نفسه،ص55.
[2] سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن ،ص56.

أ. وصف انتقال شيء أدبي خارج حدوده اللغوية لمعرفة طبيعة الاقتباس الأدبي التى قد تكون أنواع أدبية،أشكال فنية،أساليب،موضوعات،أطروحات،نماذج،أساطير،أراء،عواطف.

ب. تتبع العناصر الكوسموبوليتية من خلال الكتاب و الأدباء،ومن خلال الأنواع والمواضيع واثبات الأصيل والدخيل[1].

ويعتبر تعريف"غويار"للأدب المقارن بأنه"هو تاريخ للعلاقات الأدبية الدولية"بمثابة الشعار الدقيق والمفهوم المحوري للمدرسة الفرنسية،التى ارتكزت جهودها ضمن المدخل التاريخي ولم تتجاوزه،وبالنظر إلى شروط وعدة المقارن عند الفرنسيين نتبيّن هذا النزوع التاريخي للمدرسة.

2.شروط المقارن في المدرسة الفرنسية:

- على المقارن أن يكون مؤرخ للآداب بمعنى امتلاك ثقافة تاريخية عالية.
- الباحث المقارن مؤرخ للعلاقات الأدبية الدولية.
- معرفة اللغات والترجمات.
- معرفة المصادر والمراجع الأدبية والنقدية الكبرى.

3.دراسات التأثير والتأثر والمنهج التاريخي:

بالحديث عن تاريخية المدرسة الفرنسية،يبرز مفهوم التأثير والتأثر في تعالقه بالظاهرة التاريخية وانطلاقه منها،إذ أن الغاية من الدراسة المقارنة ها هنا هي استقصاء ظاهرة التأثير والتأثر بين الآداب القومية،ماذا اعطى الأدب العربي للأدب الفارسي مثلا؟وما هي نقاط التأثير فيه،ليبقى المكسب العلمي والمعرفي للمؤثرات تاريخي،فهو مساهمة في ترميم

[1] المرجع نفسه،ص65.

وكتابة تاريخ الآداب القومية التى كانت تدرس داخليا فأصبحت مع الأدب المقارن تدرس خارجيا بين أدب وآداب أخرى أو خارج القومية.

لقد ارتبطت النزعة التاريخية في دراسة الأدب مع ظهور الوضعية"Positivisum"،التى ترى أن المعرفة العلمية لابد أن تستند إلى التجربة أو الدراسة الامبريقية القابلة للمراجعة،فلا وجود إلى معرفة تقوم على تخمين الحدس،وإن وجدت فهي غير موثوقة ولا يعتد بها[1]،انتقلت هذه النزعة العلمية إلى الدراسات الأدبية الفرنسية مع "تين"و"بوف"و تشرّبتها أجيال المقارنة في المدرسة الفرنسية في قضية المؤثرات،لتشكل كل من النزعتين التاريخية والوضعية مرجعية نظرية للمدرسة الفرنسية حصرتها في دراسة التأثير والتأثر بطريقة صارمة وحددت توجهاتها التطبيقية في تتبع عملية التأثير[2]والتى تنتهى عندها مهمة المدرسة الفرنسية في المقارنة،ليبقى السؤال الأساسي ونحن بصدد التعامل مع النصوص الأدبية ماذا عن الجوانب الجمالية والفنية ؟وماذا عن البنية الداخلية للنص الأدبي؟

حقيق علينا القول بأن المقارنة الفرنسية سدت فجوة في تاريخ الآداب بانفتاحها على الدراسة التاريخية في أبعادها الخارج قومية،وأبطلت مقولة الاكتفاء الذاتي الأدبي،بيد أنها حصرت نفسها في نطاق صارم وضيق لا يخرج عن دراسة المؤثرات إلى لاهتمام بالجوانب الفنية والجمالية،وحولت المقارن إلى شخص يجمع الوثائق والمصادر ويتّبع الوسائط،أو إلى ماسك لدفاتر التصدير والاستراد بين الآداب على رأي "رنيه ويليك"وكنتاج لهذا احتلت العوامل المؤثرة في الأدب المكان الأول من عناية الباحثين المقارنين،في حين احتل الأدب نفسه وهو موضوع الدراسة المكان الثاني،كما أن تجزئة العمل الأدبي أثناء الدراسة والتركيز على التأثير والتأثر وإهمال الجوانب الجمالية استبعد عملية النقد من المقارنة الفرنسية.

[1] عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق،،ص28.
[2] عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق ،ص29.

لقد فشلت المدرسة الفرنسية في الاجابة على سؤال كيف نفسر ظواهر التشابه الملاحظة بين آداب لم تقم علاقات تأثير بينها؟،فقد استبعدت هذا السؤال الذي كان منطلقا اشكاليا للمدارس الأخرى السلافية والأمريكية[1]،كما أن دراسة التأثير والتأثر السلبي والايجابي حولها إلى دراسة للسرقات الأدبية خارج القومية[2]،مما يحدونا للقول أن دراسة المؤثرات لم تخدم إلا النزعة المرضية الاستعلائية الفرنسية الفرانكوفيلية والمركزية الأوربية،ولم تمنح الكثير للدرس المقارن هناك.

4.أنواع المؤثرات:

- تأثير أدبي وتأثير غير أدبي.
- أ. التأثير الأدبي:أدب بأدب مثله،أحمد شوقي وشكسبير في مسرحية مجنون ليلى.
- ب.التأثير غير الأدبي:مثاله رفاعة الطهطاوي والثقافة الفرنسية،أو قصص احسان عبد القدوس وفرويد.
- تأثير مباشر أو غير مباشر.
- أ.المباشر:تكون قناة التأثير فيه واحدة وواضحة بين مؤثر ومتأثر محددين.
- ب.التأثير الغير مباشر:التأثير عن طريق الوسائط والناقلين،مثل المؤرخين والنقاد والرحالة والصحف[3]أو "بوشكين"مثلا في نقله الحكاية الشعرية عن الشاعر

[1]المرجع نفسه،،ص31.
[2]نفسه،ص31.
[3]أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن،ص38.

الانجليزي"بايرون"إلى الأدب الروسي؛حيث جاء بعده شاعر روسي أخر"ميخائيل ليرمنتوف"واستخدم الحكاية الشعرية البيرونية متأثرا بـ"بوشكين"[1].

- التأثير والمحاكاة.
- التأثير المنعكس،من السلب إلى الايجاب المتأثر يكون نصه أقوى من المأثر.

المحاضرة الخامسة:المدرسة الأمريكية:

تقديم:ألقى رونيه ويليك في المؤتمر الثاني للجمعية العالمية للأدب المقارن سنة "1958"عرضا حول أزمة الأدب المقارن،ووجه نقدا شديدا للمدرسة الفرنسية نوجزه في مايلى:

- افتقادها إلى تحديد موضوع الأدب المقارن ومناهجه.
- تغليب العناصر القومية على العمل الأدبي في الدراسة.
- المبالغة في إثبات مظاهر التأثير والتأثر[2].

لقد أبرز هذا المقال عيوب المدرسة الفرنسية وأزمتها،وبين مظاهر تجاوزها من لدن المدرسة الأمريكية

[1]المرجع نفسه،ص39.
[2]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص100.

1. المقارنة الأمريكية المعالم التاريخية:

ظهرت المدرسة الأمريكية مع نهاية القرن التاسع عشر،حيث عرفت أمريكا الأدب المقارن،وأنشأت أقساما له في جامعات؛كولومبيا"1899"،هارفرد"1904"،دارتموث كوليدج"1908"،كما أنه في عام"1903"أسس "جورج أي وودبيري"صحفية الأدب المقارن التى أصدر منها أعداد ثلاث،ليتأكد الاهتمام الأمريكي بالأدب المقارن بعد الحرب العالمية الأولى؛حيث أنشأت له كراسى متعددة واحد تلوى الأخر[1].

وفي عام"1960"ولدت الرابطة الأمريكية للأدب المقارن"ACLA"والتى عقدت اول مؤتمر لها في"1962"وهنا اعتبر الباحثون أن الدرس المقارن الأمريكي أرسى أسسه وقواعده،وتحولت أمريكا إلى قطب معرفي كبير فيما يخص الدراسات المقارنة،ذلك ان الولايات المتحدة تنشر ثلاث مجلات في الأدب المقارن من بين الأربع المشهورة عالميا.[2]

2. المفهوم والتصور والمبدأ:

يعزو "كلود بيشو" و"أندريه روسو"في كتابهما"الأدب المقارن"تطور الدرس المقارن في الولايات المتحدة إلى توفر الظروف المواتية ويذكران منها:[3]

- انعدام الأوهام القومية.
- الذوق الأمريكي الميال لما هو جديد.
- الموقع الممتاز بين أوربا وأسيا وأمريكا اللاتينية.

معتبران أن هذه الدراسات المقارنة الأمريكية قادرة على أن تشبع المتطلبات العلمية وخاصة الأوروبية نظرا لعدد أنصارها وتنوع أعمالها يقولان:

[1]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص45.
[2]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز 46.
[3]المرجع نفسه،ص54.

"وبذلك استطاع المقارنون الأنجلو أمريكيون أن يجمعوا أنفسهم حول ما يوحدهم دون أن يلقوا بالا لما يفصل بينهم،واستطاعوا أن يتغلبوا على العقبات مبتدعين موضوعات ونتائج جديدة...فالأدب المقارن هناك حيث الأطلنطي يعتمد مبدأين:يعكس أولهما وهو المبدأ الأخلاقي،موقف أمة منفتحة تماما على العالم كله،تضفى على كل ثقافة أجنبية تعاطفا يبين ديمقراطيتها ولكنها في نفس الوقت أكثر وعيا بجذورها الغربية،أما ثانيهما وهو المبدأ الثقافي ،فيتيح للأمريكيين أن يأخذوا المسافة الكافية لتأمل المشاهد البانورامية منذ العصور القديمة حتى القرن العشرين،ويتيح لهم أيضا الحفاظ بغيرة على القيم الجمالية والإنسانية للأدب وهي القيم التى مازالوا يشعرون بها كغزو روحي عظيم،والاندفاع لانجاز أكثر التجارب لاختيار المنهج والتفسير دون الخوف من أن يضلوا الطريق،وهكذا انطلق الأدب المقارن في أمريكا مشتعلا بجذوة الانتصارات الحديثة ليحرق المراحل الماضية،فقد أصبح في مناح كثيرة مستعدا لإعطاء الدروس أكثر من تلقيها"[1]

وشرحا لهذا الاعتراف من أحد أعلام المدرسة الفرنسية"كلود بيشو"بتطور وازدهار المقارنة الأمريكية يمكن القول:أن المبدأ الأخلاقي يتأسس على بواعث تاريخية تحيل حداثة الحضارة الأمريكية،وتعدد مشاربها داخل خليط من الجنسيات والثقافات المتكونة منها،مما يجعلها منفتحة على كل الحضارات ومتصالحة مع أصولها الأوربية[2]،حسب بيشو الذي يغلّب في هذا الحكم الأخير بواعثه الفرنسية و الأوربية المركزية التى تمارس الاحتواء على كل ما هو إيجابي ومنتج وتنسبه لذاتها،والمبدأ الثقافي الذي هو انعكاس لحمولات المبدأ الأخلاقي،فالهوية الثقافية الأمريكية،تنبجس من الأرضية المعرفية للقرن العشرين،مما

[1] كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص55.
[2] سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص94.

جعلها تقرأ المسارات الحضارية من الخارج متخلصة من الأعباء المركزية الاستعلائية والعيوب المعرفية للقرون الماضية.

لقد شكل هذان المبدآن ملامح الشخصية المقارنة الأمريكية،التى انفتحت على المدرسة الفرنسية وتجاوزتها في اشتراطاتها وارغاماتها المنهجية وأوجدت معها القطائع المعرفية والمنهجية،فما يمثل الهدف في المدرسة الفرنسية(تحديد المؤثرات وضبطها) لا يعنى في المدرسة الأمريكية إلا وسيلة لأن هدفها دراسة الظواهر الأدبية في شموليتها دون اعتبار لشروط التأثير واللغة التى تقف عندها المدرسة الفرنسية ولا تتعداها،"**وهكذا ينبنى موقف الأمريكيين في بلورة المقارنة على أساس الاهتمام بدراسة الأدب في صلاته التى تتعدى حدوده القومية وهذه الأخيرة هي ما يحدد نوع الأدب لا اللغة**"[1]فعمل المقارن الأمريكي ينطلق من تتبع التشابهات والموافقات بين آداب والأفكار،ليشكل مدونته البحثية التى تشمل ما هو أدبي وما هو فني عموما منفتحة على تداخل الاختصاصات وتشارب الثقافات والأنواع والفنون،محطمة الحواجز المنهجية والإجناسية والمعرفية،مقارنة ما ثبت فيه التأثير وما لم يثبت كون التشابه قائم،فالغاية هي"**بلوغ البنية الجمالية والتشكيلية للنص المقارن**"[2]يقول"سعيد علوش" في كتابه"مدارس الأدب المقارن":

"**ومن هنا كان مطمح الأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية هو دراسة أية ظاهرة أدبية من وجهة نظر أكثر من أدب واحد في اتصالها أو عدمه بعلم أخر أو أكثر من علم،ولهذا كانت وظيفة المقارنة الأدبية عند "هانري ريماك"هي التصدى للمقارنة بين أدب وأدب/آداب ومجالات التعبير المخالفة للأدب،فتصبح المقارنة من وجهة نظره هي حرية التقاط نقاط الاتصال ذات الدلالة عبر مجال النشاط الفكري والتخيلي برمته**"[3]

[1]المرجع نفسه ،ص94.
[2]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن ،ص95.
[3]المرجع نفسه،ص95.

3. ملاحظات على المقارنة الأمريكية:

سجل عدد من الدارسين مجموعة من الملاحظات حول المنهجية المقارنة الأمريكية نذكر منها:

- الخلط بين مفاهيم ومناهج الأدب العام والأدب المقارن.
- تنوع تعريفات المقارنين الأمريكيين وتعدد المصطلحات ومزاوجتها بين الأدبي و الغير أدبي.
- النظرة الخاصة إلى الأدب الغربي كفضاء متميز داخل حقل الدراسات المقارنة.[1]

المحاضرة السادسة:المدرسة السلافية:

تقديم:ونحن نستعرض المحاضرات السابقة حول المدرستين الفرنسية والأمريكية وجب التذكير دائما بأن التحولات السياسية والمتغيرات الاقتصادية والحركات الاجتماعية،كانت من العوامل الهامة في ظهور هذه التوجهات المقارنة،التى هي إعلان عن قومية ما،واحتفاء بأدب وطني،وانفتاح على آداب عالمية،وربما قد لا يختلف هذا التفسير بالنظر للمدرسة السلافية التى شهد ظهورها حركية سياسة وجغرافية واسعة،فاستدعاء العوامل السياسية والخلفيات الايديولوجية في مدارس الأدب المقارن أكثر ما يكون مع المدرسة السلافية،وهذا ما دأب عليه المنظرون للأدب المقارن،ف"كلود بيشو"و"روني ايتيامبل"حسب "سعيد علوش"تطرقا للمدرسة السلافية من المنظور السياسي وعلاقته بالأدب

[1] نفسه،ص105.

المقارن[1]فهذه المدرسة بحكم التوجهات الماركسية والطموح الاشتراكي كانت تمثيلات الصراع بؤرة توتر بين دول شرق وغرب أوربا في تلك المرحلة.

1. المقارنة السلافية التاريخ والمحددات:

يعتبر عدد من الدارسين أنه لا يمكننا أن نقف على أرضية واضحة ومحددة لما نسميه المدرسة السلافية،وربما هذا راجع إلى تعدد دولها ومن ثم آدابها الوطنية،بيد أن الرؤية التى كانت تصدر عنها هذه الدول والخلفية الفكرية شكلت خيطا ناضما لها جعلها تنماز عن بقية المدارس المقارنة فالأثر الذي أوجدته المادية التاريخية في شرق أوربا أحدث رجّات في الفكر النقدي،وساهم في منح خصوصية نقدية وحساسية فكرية انعكست بدورها على التوجه المقارن هناك،فالماركسية بوصفها توجها فكريا كبيرا أخضع الظواهر الأدبية والنقدية للحتمية الاقتصادية والاجتماعية،وهذا ما أثّر في توجهات السلاف المقارنة،فـ"بيشوا"و "روسو" في كتاب "الأدب المقارن"يعتبران أن دارسي الآداب السلافية استقبلوا الأدب المقارن برضى رغم ما يشوبه من تصورات تضعه في خدمة الاستعمار الثقافي[2]،وفي حقيقة الأمر بالنظر إلى موقف السلافين من المدارس الغربية،نجد عدد من التحفظات حولها؛في رفض السلاف للمركزية المقيتة للمدرسة الفرنسية،وحذرهم من التوجه الأمريكي المقارن الذي ينزع عن الآداب بعدها الوطني،فهذا الاستقبال الحذر والنقاد لهذه المدارس ساهم في بلورت تصورات المدرسة السلافية التي تجد في المركزية الغربية خطرا على مستقبل آدابها الوطنية والتي يقع تهميشها واغفال أعلامها،فـ"بيشو"نفسه يرى بأن "**الغرب يعامل العالم السلافي والشرق مثل سندريلا في أساطير الأطفال**"[3]وهذا مايجليه بوضوح "ميكرودينوفيكا""Mikro deanovic"في مقاله "الأدب المقارن والدول

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص128.
[2]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص69.
[3]المرجع نفسه،ص70.

السلافية"حيث ينتقد التعامل الأوربي الغربي مع آداب أوربا الشرقية،فهو يعتبر أن المجلة الفرنسية للأدب المقارن في ما يربوا عن ثلاثة عقود لم تخصص سوى دراسات قليلة للآداب السلافية ولم تورد أعلامها إلا في عدد يتيم حول "بوشكين"[1].

إن هذه التحيزات الغربية والتحفضات السلافية أكدت على ضرورة وجود توجه مقارن في أوربا الشرقية يُعرف بآدابها القومية ويُصدر تصوراتها المقارنة للعالم مستثمرة في الخلفية الفكرية الماركسية التى كانت نشطة في الجامعات السلافية عموما الروسية بالخصوص،مع أن "بيشو"يرى أن بذرة المقارنة آتت أكلها خارج روسيا بالذات وكانت تقودها أفكار ثلاث هي[2]:

- الانخراط في الأدب العالمي.
- جدارة الآداب السلافية العظيمة بأن تكون همزة وصل بين الشرق والغرب وبين العصور الوسطى والعصر الحديث.
- تجديد النقد الأدبي عن طريق الفكر الماركسي.

معتبرا أن ندوة "بودابيست""Budapest"في أكتوبر من عام"1962"كانت اعلانا عن المدرسة السلافية،حيث نوقشت فيها قضايا متعددة مثل العلاقات بين آداب الشرق وقيمة المنهج المقارن والتصور الغربي العالمي المقارن،وقد حضر هذه الندوة بعثة من المقارنين الغربيين ومن نتائج هذه الندوة تخصيص المجريين مجلدا ضخما للأدب المقارن العالمي[3].

يضع "كلود بيشو"ومعه" أندريه روسو"المجر على رأس الدرس المقارن في شرق أوربا،ويرى بأن لكل بلد من هذه البلدان ملامحه الخاصة في المقارنة،مثل بولندا وقربها المعرفي وارتباطها الشديد بغرب أوربا،وتشيكوسلوفاكيا(سابقا حاليا مشكلة من دولتين)وابتعادها

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص128.
[2]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص70.
[3]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز ،ص71.

عن الدرس المقارن،وبلغاريا التى حافظت على كراسى الأستاذية الخاصة بدراسة مجموع الآداب السلافية والغربية،ورومانيا حيث تلتقى الروافد اللاتينية و الهيلينية وتختلط روسيا وألمانيا تراثا وتأثيرا وتحضر فرنسا بحكم العلاقات والصداقة الحميمة معها،مما ساهم في ثراء التجربة الرومانية المقارنة،ويوغوسلافيا(سابقا حاليا مشكلة من سبعة دول)التى اشتركت في حركة الأدب العالمي و المقارن مبكرا،فقد انشأت في عام "1884"في بلجراد كرسي للأدب العالمي لا يزال قائما،إضافة إلى موقعها بين العالم اللاتيني والهيليني والسلافي والحضارتين المسيحية والإسلامية[1].

2. المدرسة السلافية وسوسيولوجيا الأدب:

تعلى الدراسات المقارنة السلافية من شأن سوسيولوجيا الأدب في تأسيس أرضية نقدية مقارنة تستجيب للشرط الاجتماعي في الأدب،مما يساهم في ايضاح علاقات المقارنة من خلال ابراز الأثر الاجتماعي في الآداب الوطنية،والذي يساعد في فهم التصورات الاجتماعية عند الشعوب،وتتبع حركة الطقوس والعادات والديانات بين شعوب الجوار والشعوب البعيدة عنها،وإبراز التماثلات والوقوف على المشتركات بالانفتاح على الشعوب والحضارات من خلال المداخل الاجتماعية،ذلك أن الفهم الغير دوغمائي كما يقول"نيهنيا غيورغي""Nihnia gheorghia"للعالم كما هو في الجدل المادي والتاريخي يساعد على تبادل الأفكار ومقارنتها،وطرح الآراء وفتح المجال لكل الأصوات الأدبية في العالم، ومن ثمة تكون الحقيقة والإنسانية هما الرابح الأكبر[2]،ويعتبر "سعيد علوش"أن النظر إلى الأدب المقارن في المدرسة السلافية مر وفق مراحل يقول:

[1] المرجع نفسه،ص72.
[2] سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص129.

"والحق أنه في المرحلة الأولى كان ينظر إلى المقارنة كمنهج بحث على الخصوص عليه أن يُلحق بنظرية وتاريخ الأدب،إلا أنه فهم فيما بعد بأن الأدب المقارن له الحق في أن يصبح مستقلا،حيث يدرج في السلّم العام للعلوم الاجتماعية،محتلا بذلك مكانة ودرجة درس جوهري،فليس من الصدفة أن تنزع أغلب معالجات الدرس المقارن في المدرسة السلافية إلى رسم معالم علم اجتماع الأدب المقارن"[1]

ومن الطبيعي أن يتفق كل المقارنين والمنظرين السلافين حول المدخل الاجتماعي في فهم الأدب المقارن وتعضيد ممارساته التطبيقية،ذلك أن الخلفية الماركسية وبواعثها السوسيواوجية في التعامل مع الظاهرة الأدبية وتحديد بنياتها انعكست على المقارنين السلاف.

3. أعلام المدرسة وتوجهاتها المعرفية:

يحصى"سعيد علوش" في كتابه"مدارس الأدب المقارن" عددا من الأعلام السلاف وبعض طروحاتهم نذكر منهم[2]:

- زديسلاو ليبير"Zdzislaw libera"من فارسوفيا.
- ديونيز دوريسين"Dionys durisin"من براتيسلافيا.
- لاسزلو إيلاس"Laszlo iiés"من بودابيست.
- ماثوسير"Mathauser"من براغ.

الكسندرو ديما"A dima"في مقال له"المقارنة في اطار علم الأدب ودراسة الخصوصية الوطنية"يرى أن الأدب المقارن من الدروس التى تحتاج كثيرا الدراسات المتداخلة الاختصاصات،فالأدب المقارن يتموضع في تقاطع عديد الدروس،ويؤكد أهمية علاقته

[1] المرجع نفسه،ص132.
[2] نفسه ،ص133.

بالنقد إذ لا يمكن الاكتفاء بالحديث عن الجوانب التاريخية التى تهمل الجمالي في الأدب،كما أنه على الأدب المقارن أن يهتم بمشاكل الأدب لا سوسيولوجيتها،وهو بهذا كما يرى "علوش"يُموضع المدرسة السلافية بين المدرستين التاريخية(الفرنسية)،والنقدية (الأمريكية)[1].

كيوركي ديموف"Gùéorgin dimov"يرى"**أن أدب كل فترة وكل شعب خضع في نموه إلى قاعدة اتصال متلاحق عبر الغزوات الثقافية والحركات الايديولوجية والمفاهيم الجمالية للشعوب المجاورة،المتقاربة والمتباعدة**"[2].

"ديما"و"ديموف"يبرزان هنا انفتاح المدرسة السلافية عالميا في تعاطيها مع الأدب القومي وتخلصها من المركزية الغربية الانغلاقية،وتصورها المقارن الذي يدمج العناصر التاريخية والنقدية والسوسيولوجية،وينضوى تحت سقف الدراسات المتداخلة الاختصاصات،مستعينا بفلسفة التاريخ وتاريخ الأفكار ومبحث الأكسيولوجيا(القيم)"Axiology"هذا ما يعطى انطباعا بموسوعية هذه المدرسة التى كان لمرونتها وتعدد أدواتها وتداخل الاختصاصات فيها دور كبير في انتشار طروحاتها وقوة آرائها وهذا ما ساهم في انتشار المنهج السلافي المقارن وانعكس على رواج الأدب السلافي عالميا.

ما يمكن التذكير به و الإشارة له هنا القول:بأن اعمال الفهم الماركسي في المقارنة السلافية يجعل منها عملية تنطلق من تحديد البنيتين الفوقية الأيديولوجية،والتحتية الاقتصادية والاجتماعية في تأثيرها المتبادل؛حيث تتحكم البنية التحتية في البنية الفوقية،ليتحول الواقع الاقتصادي والاجتماعي إلى متحكم في الانتاج الأدبي؛إذ يمنحه المادة والموضوع و وسائل الانتاج والمستقبلين،ومن ثم فالمقارنة تقف على هذه الأرضية وتتأسس عليها،ليصبح

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن ،ص133.
[2]المرجع نفسه،ص136.

تساوي البنيات التحتية للأمم المختلفة وتشابهها مجالا لعقد المقارنات بين آدابها،ومن ثم فإن المقارنة لا تحتاج إلى البحث عن الصلات التاريخية أو مواطن التأثير أو مؤشرات التشابه في النصوص الأدبية،بقدر ما تحتاج إلى النظر في توافق البنيات التحتية لهذه الأمم المختلفة[1].

4. المبادئ والتصورات المقارنة السلافية:

من أهم تصورات منظري المقارنة في المدرسة السلافية نأخذ مايلي:[2]

- ضرورة التركيز والانشغال بالأعمال الكبرى.
- اعمال المقاربات متداخلة الاختصاصات.
- ادراج الدعامة السوسيولوجية والفلسفية في المقارنة.
- تتبع حركة الأفكار وفلسفة التاريخ.
- عدم اهمال البعد الايديولوجي.
- دمج الجمالي والتاريخي والثقافي في صميم المقارنات.
- خضوع الآداب لقواعد ثابتة للاتصال والتبادل.
- ملازمة الصيرورة الأدبية العالمية لكل اغناء أدبي وطني.

[1] يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،منشورات جامعة القدس المفتوحة،لبنان،ط1، 2008،ص86.
[2] سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص 141/137.

المحاضرة السابعة:المدرسة العربية:

تقديم:قد يتساءل القارئ ما جدوى تعدد المدارس والتوجهات والأشكال في الأدب المقارن ولماذا لم تتوحد الجهود العالمية في تقديم نماذج واضحة موحدة للمقارنة تتوافق مع كل النصوص الأدبية والفنية في العالم؟يجيب عن ذلك المقارن الفرنسي"دانييل هنري باجو"بقوله:أن الأدب المقارن حقل متجدد الأشكال حسب ما تفرضه النصوص الأدبية إذ"**لا توجد مقارنة أدبية واحدة هناك مقارنات بعدد البلدان التى تأصلت فيها(...)من الطبيعي أن يختلف تطور هذا الحقل في فرنسا عن التطور الذي شهده بلد أخر،حيث**

تكون دراسات الأدب القومي في وضع مختلف،بسبب نقاط الانطلاق المختلفة هذه والمسارات المختلفة،لا يستطيع الأدب العام و المقارن أن يمتلك وجه متسق ولا ممارسات متماثلة بين بلد وأخر،على الرغم من الاشتراك النسبي في الاهتمامات"[1]،ولهذا تتعدد المدارس في الأدب المقارن وتختلف حسب السياقات الثقافية والمحمولات الايديولوجية والتصورات المناطقية للآداب القومية،وهنا نتساءل هل توجد مدرسة عربية في الأدب المقارن على اعتبار أن عدد من الشروط المذكورة أنفا تتحقق فيها؟أم أن هناك شروط أخرى حتى نصطلح على توجه معين أو جماعة أو جهة بالمدرسة؟

يتحفظ عدد من الباحثين والمقارنين العرب على تسمية المدرسة العربية،ويجدون بأن الممارسات المقارنة العربية لم ترق لتحقيق الشروط المعرفية والنظرية للمدرسة،حيث أننا لا نعثر منهج عربي مستقل في المقارنة،فكل جهودنا هي نقل وتوريد واستنساخ للمدرسة الفرنسية بالدرجة الأولى وبقية التوجهات والمدارس،كما أن الجهود التطبيقية وإن كانت متعددة و حققت التراكم لكنها لم تستطع أن تعطى ملامح لنظرية عربية وفق محددات الخصوصية والسياق،ويعدد"سعيد علوش"أسباب عدم استقلال المدرسة العربية بذاتها في:

- حالة الانبهار وعامل الجدة(خمسينات القرن الماضي) في الأدب المقارن.
- غياب المجايلة وتجاهل مجهودات الأخر العربي.
- اغفال التراكم.
- مشاكل الجامعة والتدريس.
- بعض الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية الأخرى.

1. الأدب المقارن:بذور في التراث:

[1] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص36.

من الأجدى أن نضع الحديث عن الأدب المقارن في التراث ضمن محاذير الوقوع في شرك التأصيل له؛إذ يعد ذلك من نوعا من الأمراض الثقافية التى تجعلنا نلجأ إلى تأصيل منجزات الأخر ببعض الاشارات في التراث،في غياب المنجز العربي وتراجع الاهتمامات المعرفية التى بقيت أسيرة النقل والتبيئ والأقلمة،ليتحول التراث في جهوده المعتبرة ومنجزاته المشرقة إلى وجهة للهروب والتأصيل المرضي مما ينتج عنه الوقوع في الثنائية السيزيفية في بناء النظرية وتأسيس المعرفة وهي ثنائية الأخذ من الأخر/المختلف،أو الماضي/البعيد،لكن هذا لا يمنع من التواصل مع الماضي في حدود الاستفادة من الموروث والنهل منه،لا للإشادة به فقط،أو التوقف عنده وعدم القدرة على تجاوزه.

وبالنظر إلى نصوص الموازنات والنقائض والمعارضات و السرقات في النقد العربي القديم نجد ما يمكن تسميته الوعي بـ "فعل المقارنة"واستخدامه في التعامل النقدي مع النصوص،وفي أبعد من ذلك يتحدث"الطاهر أحمد مكي"في كتابه"في الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية"في فصل بعنوان"الجاحظ والأدب المقارن"عن بعض النصوص التى يقارن فيها الجاحظ بين الأدب العربي وآداب أمم أخري[1]،كما نقف على عدد هام من الملاحظات التى وردت في كتاب الأغاني والكامل وطبقات الشعراء[2]ويبدو أن دخول الأعاجم إلى الثقافة العربية حفز فعل المقارنة عند النقاد العرب القدامى،ونص الذي يورد فيه الجاحظ تعريفات البلاغة عند الأمم الأخرى هو نص واضح المقارنة قائم الشروط وإن غابت فيه الأسماء[3]إذ نقف فيه على النسبة الظاهرة للأقوام يقول:

"خبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد بن أبان ولا أدرى كاتب من كان قالا:قيل للفارسي ما البلاغة؟قال معرفة الفصل من الوصل،وقيل لليوناني ما

[1]إبراهيم عوض،في الأدب المقارن مباحث واجتهادات،المنار للطباعة والكمبيوتر،مصر،ط1 2006،ص85.
[2]المرجع نفسه،ص87.
[3]نفسه،ص88.

البلاغة؟قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام،وقيل للرومي ما البلاغة؟قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة،وقيل للهندي ما البلاغة؟قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة"

هذا النص الذكي للجاحظ يؤشر على حاجة الثقافات الصاعدة والمركزية مثل الثقافة العربية في العصور الوسطى إلى الانفتاح على القوميات الأخرى ومحاولة فهم منجزها الثقافي والفكري والترويج وتقديم النصوص المعيارية "Canone"من لدن الثقافة العربية،فالجاحظ بعد أن يأتى على ذكر عدد من القوميات يقدم التصور العربي للبلاغة بوصفه تصورا جامعا ومتكاملا يحوز صفة الانتشار والعالمية،وربما هذا ما وصفته وعيا بـ"فعل المقارنة"في التراث العربي.

2 الارهاصات المقارنة الأولى:

في الأدب المقارن وغيره من الموضوعات تطرح اشكالية الريادة في العالم العربي حرجا معرفيا كبيرا وتُسيل حبرا كثيرا بين المناطق العربية المختلفة وبالأخص بين الشوام والمصريين،وهو الأدب المقارن يعيد طرح الاشكالية ذاتها،لمن الريادة عربيا فيه؟فيعلل البعض الريادة بالكتابات الأولى ويرده البعض للكتابات التى حققت شرط الوعي بالمصطلح والمنهج وعلى العموم فإن الارهاصات العربية بدأت مع البعثات العلمية ولنا في رحلة الطهطاوي وكتابه"تخليص الابريز في تلخيص باريز"وقفات مقارنة وملاحظات استقاها من اقامته ودراسته بفرنسا وقد تزامن وصوله هناك مع اقامة أول كرسي للأدب المقارن في السربون عام 1928 لـ "فرنسوا فيمان""Francois villemain"وقد حمل كتاب الطهطاوي اشارات مقارنة بين اللغتين والأدبين العربي والفرنسي[1]،وعند الشوام نجد جهود أديب

[1]إبراهيم عوض،في الأدب المقارن مباحث واجتهادات،ص150.

اسحاق وأحمد فارس الشدياق وسليم البستاني ويعقوب صروف في مجلة المقتطف،وأحمد أفندي كمال ونقولا فياض وغيرهم.

الشدياق في كتبه وترجماته المختلفة أبان عن وعي مقارناتي كبير وقدم عدد من الملاحظات بين العربية والانجليزية والفرنسية على مستوى اللغة والأدب كما ناقش عدد من اطروحات المستشرقين،وقدم روحي الخالدي في كتابه"تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوغو"سنة1904 نماذج عديدة للمقارنة منها حديثه عن شعر "التروبادور"وتأثره بالتقفية في الشعر العربي بالأندلس والبموضوعات مديح ونسيب وهجاء،ومقارنته بين "أغنية رولان"وسيرة "عنترة بن شداد"وبين الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران وبين فكتور هيجو والمعري[1]،وفي كتابه "منهل الرواد في علم الانتقاد"1937 أورد قسطاكي الحمصي فصلا بعنوان"الألعوبة الالهية ورسالة الغفران بين أبي العلاء المعري ودانتى شاعر الطليان" تحدث فيه عن تأثير أبي العلاء في الشاعر دانتي الايطالي[2].

ونقف في رفوف المكتبة العربية على كتاب هام ومتقدم زمنيا هو كتاب الشاعر والنقاد "فخرى أبو السعود"وهو عبارة عن مقالات نشرها بين"1934 1937"في مجلة الرسالة وهي تزهو عن أربعين موضوعا جمعت بعد ذلك في كتاب تحت مسمى"الأدب المقارن ومقالات أخرى"و تجدر الاشارة بأنه في الفترة التى نشر فيها "فخري أبو السعود"مقالاته لم يعرف بعد مصطلح الأدب المقارن،وإن انتشرت الممارسات النقدية المقارنة،ولقد قارن في هذه المقالات بين موضوعات في الأدبين العربي والانجليزي من منظور جمالي وهذا المنظور الجمالي كان غائبا على الرواد الذين ارسلوا كبعثات إلى فرنسا للإطلاع على الأدب المقارن وتشربوا

[1] المرجع نفسه،ص173.
[2] نفسه،ص174.

بتاريخية هذه المدرسة وعلاقات التأثير والتأثر وربما هذا ما حجب جهود "فخري أبو السعود"في تلك المرحلة حسب ما أورده"محمد علي المكي"في تقديمه للكتاب[1].

3 مرحلة التأسيس"1948 1960"

يعتبر"سعيد علوش"أن اعتماد المجلس الأعلى لدار العلوم بالقاهرة سنة 1945 لمادة الدرس المقارن مقررا جامعيا هي مرحلة جديدة للأدب المقارن عربيا ،حيث اسندت لإبراهيم سلامة وعبد الرزاق حميدة وقد أصدر كلاهما في تلك المرحلة كتب؛سلامة إبراهيم "تيارات بين الشرق والغرب" وحميدة عبد الرزاق"الأدب المقارن"[2]،وهي مرحلة ترجم فيها سامي الدروبي كتاب "الأدب المقارن"لـ"فان تيغم"،ويعتبر "علوش"أن ابراهيم سلامة تفرد برسم خريطة التاريخي و الاستراتيجي الذي صدر عنه الجيل الأول من المقارنيين،فقد قدمت كتابات ابراهيم سلامة الأرضية المعرفية التى اتتكأ عليها تلميذه غنيمي هلال وعطيه عامر قبل دراستهما في السوربون على يد جون ماري كاري[3]،كما أن ظهور كتاب"الأدب المقارن"لـ"نجيب العقيقي"سنة 1948 وهو كتاب ضخم وجامع لمادة كبيرة وإن لم يستعن بالأرضية المقارناتية في تلك اللحظة المعرفية،ومن تمام القول أن نذّكر بكتاب الأدب المقارن لإبراهيم سلامة في سنة 1951 وكتاب غنيمي هلال تحت المسمى ذاته سنة 1953.

4 مرحلة الانتشار والتنوع 1960 وما بعدها:

هي مرحلة اتسمت بظهور مجلات خاصة بالأدب المقارن،مجلة"الدراسات الأدبية"1962 1967 التى صدرت باللغتين العربية والفارسية عن قسم اللغة الفارسية بـ الجامعة اللبنانية في بيروت واهتمت بموضوعات المقارنة بين الفارسية والعربية معتمدة المنهج الفرنسي"الصلات التاريخية والتأثير والتأثر"ترأس تحريرها محمد مهدي الايراني والمجلة

[1] فخري ابو السعود،في الأدب المقارن ومقالات أخرى،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ط1997،ص9.
[2] سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص 63.
[3] المرجع نفسه،ص 166/164.

الثانية"الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن"1967 1968 صدرت باللغة الفرنسية وركزت على المقارنة بين الادب العربي والفرنسي أدارها جمال الدين بن الشيخ[1]،كما يجدر بنا ذكر محمد عبد المنعم خفاجة وحسن جاد حسن في كتابيهما عن الأدب المقارن وهما من الجيل الثاني الذي بقي رجعا لصدى في تبنى المنهج الفرنسي كما قدمه نظريا غنيمي هلال[2]،ومع بداية السبعينيات بدأت المقارنة تنتشر في الأوساط الأكاديمية والثقافية ونشطت حركة الترجمة والتأليف وتنوعت المداخل بين الفرنسي والأمريكي،إذ ظهر نوع من الانفتاح على المدرسة الأمريكية ترجمة وتأليفا وبالخصوص في الجانب التطبيقي بتبنى مبادئها،كما وقع الاهتمام أكثر بالمقارنة بين العربية والفارسية مع طه ندا وحسين على محفوظ وعبد الحق فاضل ومحمد التنوجي وغيرهم ،وتنوعت أيضا الدراسات عن الغرب وتعددت الأقسام والدارسون نذكر ريمون طحان،حسام الخطيب،عبد المجيد حنون،عز الدين مناصرة،سعيد علوش،محسن جاسم الموسوي وغيرهم،وكنتاج لهذه المرحلة تأسست الرابطة العربية للأدب المقارن عام 1983 في عنابة بالجزائر وعقدت أول لقاء لها هناك سنة 1984،وأفردت كبريات المجلات أعداد للأدب المقارن[3].

5 مستقبل الأدب المقارن العربي:

يشير "سعيد علوش"إلى أن الدرس المقارن العربي بقي أسير لحظتي سامي الدروبي في ترجمته لكتاب"فان تيجم" وغنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن،فقضية التأثير والتأثر بقية هي القضية الأساسية نتاج لهذا الاحتكاك الأوحد بفرنسا وتأكيدا منه على تشبث الدرس المقارن العربي بتاريخية المدرسة الفرنسية يعود إلى مقدمات طبعات غنيمي هلال لكتابه الأدب المقارن؛ط1 1953،ط2 1961،ط3 1962، يجد بأنها بقيت محافظة على الشروط

[1]يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص91.
[2]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص173.
[3]يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص92.

المنهجية والبواعث المعرفية للمدرسة الفرنسية،معتبرا أن غنيمي هلال"**نموذج فريد في تهجير الأفكار الغربية نحو الشرق إذ يظهر على غنيمي أنه لم يطور فيها شيئا بل استمر في اجترار الدرس الفرنسي المقارن**"[1].

ويعتبر أن الجهود العربية التنظيرية شغلتها هموم ترجمة المناهج والتعريفات الغربية وأن معوقات الدرس العربي المقارن في الجامعات هو العقلية التلقينية وافتراض الجهل عند المرسل إليه أو وهم التفرد عند عدد كبير من المقارنين أو المدرسين والاعتقاد بالنزاهة والترفع عن أي موقف نقدي[2].

وتكثيفا لهذا يمكن القول في الأخير بين هذه الممارسات الفاشلة وهذه الجهود المشتتة يبقى مستقبل المقارنة الأدبية العربية غامضا ومفتوحا على كل الاحتمالات.

المحاضرة الثامنة:مباحث الأدب المقارن

1.رحلة الآداب:

قد يفهم مصطلح رحلة الآداب في أحد مستوياته على أنه يعنى بأدب الرحلة وعلاقته بالأدب المقارن،بيد أن الأدق من ذلك هو في اقتراح مفهوم الوساطات الأدبية،بمعنى أن رحلة الأدب هي حركة الأدب خارج حدوده القومية واختلاطه بآداب أخرى واندراجه في سياقات ثقافية مختلفة عن السياقات المنتجة له،وهنا لابد له من الوسائط لهذه الرحلة،فتكون الترجمة الأدبية وأدب الرحلة أو دفاتر الرحالة،ويكون الاستشراق وتكون هناك وساطات أخرى من ناشرين ومسوقين

[1]سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص171.
[2]المرجع نفسه،ص 177.

للأعمال الأدبية ومنديات وروابط الكترونية وصحف ومجلات،وكل هذه الوسائط تساهم في تحقيق رحلة الآداب بما هي حركة للأدب خارج نطاقه الجغرافي.

1.1الترجمة:

تضطلع الترجمة بدور هام وكبير في حركية الأدب بين البلدان والأمم وتساهم في مد جسور التواصل الحضاري والثقافي والإطلاع على الابداع في لغاته وثقافاته المختلفة،وعادة ما يرتبط الصعود الحضاري والرقي المعرفي والأخلاقي في الحضارات المختلفة بنشاط حركة الترجمة،ولنا في الثقافة العربية الاسلامية ما يدل على ذلك،اذ نقف على حضور قوي للترجمة في التراث العربي من خلال ترجمة الآداب والعلوم من الثقافات المختلفة شرقا وغربا،فقد ترجمت للعربية علوم الفرس وآدابها و كذا الموروث اليوناني والهندي وغيرها من الكنوز المعرفية عند الأخر،ونجد في الكتب النقدية العربية أراء حول الترجمة وطرقها وأعلامها فالجاحظ أشار في أكثر من موضع من كتاباته للترجمة وأشتهر عدد من المترجمين على غرار حنين ابن اسحاق ويوحنا البطريق وغيرهم.

1.1.أ.الترجمة في الأدب المقارن:

ترى"سوزان باسنيت"بأن منظري الأدب المقارن في اعرافهم بالدور الهام الذي تحوزه الترجمة في عملهم إلا أنهم اتجهوا إلى التأكيد على أولوية وضرورة القراءة باللغات الأصلية،كما أن دراسات الأدب المقارن بدأت تهمل الحديث عن الترجمة وتغفلها من كتب إلى فصول صغيرة إلى عناصر هامشية داخل دراساتهم وغالبا ما استخدمت مصطلحات بديلة عن مصطلح الترجمة مثل الاقتباس أو المحاكاة وهذا الموقف السلبي من الترجمة يظهر كثيرا في المقارنة الثنائية بين لغتين،حيث تشترط اللغة الأصلية وهذا أفضل من القراءة على النصوص المترجمة بغموضها

والخطر الذي يكتنفها بوصفها خيانة والموقف الأمريكي في هذا الصدد"**يتجاهل الترجمة تماما ويعتبر نقل نص من سياق إلى سياق أخر عملية بلا حدود**"[1]

وعلى العموم فإن الترجمة هي نقل نصوص من لغة(المصدر/المنبع)إلى لغة أخرى(الهدف)وهي هجرة للنصوص لأن النص يخرج من سياقه الأصلي إلى سياق أخر،والأدب المقارن يهتم بالترجمة"**من حيث طبيعة تجسيدها للعلاقة بين آداب قومية متعددة ويهتم بالمترجمين لأنهم وسطاء أو جسور تتحقق بواسطتها عملية التبادل الثقافي**"[2]،ويهتم أيضا بالعمل المترجم؛شكله وبنيته ومضامينه ولماذا ترجم؟ هل لشهرة النص أو صاحبه؟وما مدى انسجامه مع السياق الثقافي العام،وبالمترجم ثقافته وتوجهاته وتمكنه من اللغتين(المصدر والهدف)فمعرفة أن نص"تحت ظلال الزيزفون" أو نص "ماجدولين"قد قام بتعريبهما المنفلوطي وهو لا تقن أو لا يعرف اللغة الفرنسية ضروري لمعرفة ما طرأ على النص من تحولات أو تغيرات أو تشوهات،وكذلك النص متعدد الوساطات اللغوية،مثل تعريب الزيات لـ"ألام فيرتر" عن اللغة الفرنسية التى هي لغة وسيطة للنص الألماني اللغة والمنبت[3]ومن ثم فإن لغة الترجمة أيضا تدخل في عناية المقارن أي السياق الذي نقل إليه النص وكذلك تلقى الترجمة بين النجاح والفشل والانتشار والعزلة لهذا النص المترجم،فالمقارن عبر هذه العناصر يتمكن من ممارسة فعل المقارنة عبر وسيط الترجمة.

1.1.ب.أهمية الترجمة في الأدب المقارن:

- تحقيق المرونة والسهولة في المقارنة وفتحها على عدد كبير من الدارسين الغير متمكنين من اللغات.
- فتح جسور التواصل بين الاعمال الأدبية في لغاتها المتعددة.

[1] سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،ص158.
[2] يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص203.
[3] المرجع نفسه،ص205.

- تشبع الثقافات بالنصوص وتتبع الجديد ومواكبة التحولات والتغيرات على صعيد الأدب العالمي.
- تخدم المطالب الثقافية والفكرية الملحة وتساهم في انتشار النصوص وتعدد متلقيها.

1.1ج.الحاجة إلى ترجمة الأدب العربي:

لا يمكن الوقوف على عدد الترجمات للأدب العربي في اللغات الأخرى لأن هذا يتطلب جهد نظري كبير أو بالأحرى عمل مؤسسات لا أفراد،فاللغات متعددة والنصوص كذلك لكن المتفق عليه هو أن جهود نقل الأدب العربي تبقى قليلة ويضطلع بها أشخاص محددون لنصوص بعينها وهذا مالا يخدم الثقافة العربية،التى هي اليوم في أمس الحاجة إلى تقديم صورتها الحقيقية الغير مشوهة ومناهضة الخطابات العدائية ضدها ومنها الإسلاموفوبيا وما يترتب عليها في الدوائر الاعلامية والثقافية والسياسية في الغرب،كما أن ترجمة الأدب العربي هي بعث له وتمكين لخصائصه الشكلية وغرس لأنساقه المعرفية وربما نجد فيما ينقله"عبده عبود في كتابه"هجرة النصوص"الدليل على الحالة المزرية لواقع ترجمة الأدب العربي للغات الأخرى ؛حيث يذكر ذلك الاستهجان والاستغراب الذي قابل به النقد الأدبي في الدول الأوروبية خبر منح نجيب محفوظ نوبل للآداب سنة 1988 إذ ينقل عن أحد النقاد الألمان قوله"**نزلت إلى المكتبات وسألت عن أعماله المترجمة إلى الألمانية فلم أعثر إلا على ترجمة لرواية بوليسية عنوانها"اللص والكلاب"(...)وما فاجأنى أكثر من ذلك هو أن الصحافة لم تتفق حتى على شكل واحد لكتابة اسمه فهناك من يسميه"مخفوتس"بينما يدعوه أخرون"مهفوس"أو مهفوز"وأنا أتسائل كيف تمنح جائزة نوبل لأديب لا يعرف الرأي العام اسمه الصحيح**"[1] هذا الموقف وإن كان غير دقيق ومتحيز

[1] عبده عبود،هجرة النصوص،منشورات إتحاد الكتاب العرب،سورية،ط 1 ،1995،ص62.

عرقيا وثقافيا لكنه يؤكد على القصور الكبير في ترجمة الأدب العربي ويعكس أهمية حضوره في السياقات الثقافية المختلفة

2.1.أدب الرحلة:

يعرف"باجو"الرحلة بأنها انتقال ضمن الفضاء الجغرافي والزمن التاريخي وهي انتقال أيضا ضمن نظام اجتماعي وثقافي[1] مما ينتج عنها كم هائل من الانطباعات والمشاهدات والملاحظات التى يسجلها الرحالة في سياقات ثقافية واجتماعية جديدة وغريبة عليهم ليس لهم سابق اطلاع بها هذه النصوص والقصص التى يسجلها الرحالة في مذكراتهم"**في ممارستها والتعبير الأدبي عنها تعبيرا عن لحظة ثقافية معروفة جيدا هي لحظة التقاء الانسان مع العالم الخارجي وسيطرته الواضحة على العالم وقدرته اللا محدودة على وصف العالم،وفهمه واعتقاده بسيادته عليه،ورهانه الدائم بتحويل المجهول إلى معلوم مفهوم**"[2]هذا القاء بالعالم أو اللحظة الثقافية بتعبير "باجو"راكمت على الصعيد الأدبي نصوصا كثيرة وأدبا متنوعا يتسم في معظمه بالعجائبي،حيث سجل الرحالة أحداثا ومواقف رأوها أو سمعوا عنها،وسردوا قصص بعد عودتهم استطاعت كما يقول"كلود بيشو"أن تخصب بعض الخيالات،ثم ما لبثوا أن بثوها إلى الورق في صيغ مختلفة مذكرات ويوميات ورسائل[3].

هذه الحكايات التي جمعها وسجلها الرحالة هي أرضية معرفية ومجال من"**أخصب حقول الدراسات المقارنة التى خرجت إلى النور في السنوات القليلة الماضية،وبالإضافة إلى**

[1]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص49.
[2]المرجع نفسه،ص49.
[3]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص93.

ذلك فإن فحص النصوص المختلفة التى كتبها الرحالة يبين كيف يمكن للأفكار المسبقة الخاطئة والصور النمطية السلبية للثقافات الأخرى أن تنتقل من جيل إلى أخر"[1].

إذن تبرز أهمية حكايات و نصوص الرحالة في كونها تقدم مادة ثرية للمقارن في التعرف على النصوص والثقافات وتتبع كيفية انتقالها،كما انها تعطيه إمكانية كشف الأنساق الثقافية،وتحديد الصور النمطية التى تكون الحكاية الرحلية وسيطا نشطا في نقلها وتمكينها وتعاقبها بين الأجيال مما يمنحها الشرعية والمصداقية بالتقادم والبقاء والاستمرار عبر ولوجها قنوات التنشئة الاجتماعية و من ثم تحولها إلى قناعات راسخة تحمل كثيرا من الصور النمطية،وتنضاف إليها سرود و تضخيمات المخيال الثقافي الميالة إلى ادراج العجائبي والرغبوي والغامض والمثير و الجنسي ولنا في ما تعج به الكتابات الغربية عن الشرق دليل،ف"صانعوا الخرائط والمترجمون والرحالة ليسوا منتجين أبرياء للنصوص فالأعمال التى يبدعونها هي جزء من مناورة لتشكيل مواقفنا وتحديدها إزاء الثقافات الأخرى على حد تعبير"سوزان باسنيت"[2] وهذا ما يجرنا للحديث عن الصورلوجيا في الأدب المقارن.

3.1 .الصورلوجيا والأدب المقارن:

أدب الرحلة والنصوص والصور التى تنتج عنه من المجالات التى تتحقق فيها فرضات تداخل الاختصاصات بما هي مادة لعدد من الفروع العلمية،كالأدب المقارن والأنثروبولوجيا التي تهتم بالمنظور الاثنوغرافي في وصف العادات والتقاليد والقيم والثقافة الشعبية،كما نجد الدراسات الجغرافية والتاريخ والجيولوجيا وغيرها من الحقول المعرفية،وتكون دراسة الصورة في أدب الرحلة فيما يسمى علم دراسة الصورة الأدبية"Imagologie" وهذا العلم من صميم اهتمامات الدراسة المقارنة،وإن كان هناك من يعتبر أن دراسة الصورة في الأدب

[1] سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،ص107.
[2] المرجع نفسه،،ص173.

المقارن هي إعادة إنتاج لتصورات المدرسة الفرنسية المتمثلة في العوامل التاريخية والمؤثرات الملموسة؛فدراسة الصورة تعتمد على الفلسفة الوضعية الجديدة كما يرى"رنيه ويلك"عام"1953"في مقاله السنوي للأدب المقارن وكذلك اعتراض"ايتامبل"على هذا النمط من الدراسة[1].

يعتبر بعض المقارنين بأن ظهور الصورلوجية وافق بروز الوطنيات الأدبية أو نزعات الأدب القومي وانتشار الكتابة الغرائبية التي تبحث عن"ميثية/أسطورية"الأخر ضمن الصور المنحدرة من التاريخ أو الرحلات والمغامرات والخرافات التراثية[2]،وتوضيحا للعلاقة بين الرحلة والصورلوجيا والأدب المقارن يمكن القول؛الرحلة تخلق الصورة وتساهم في تشكيلها بمعنى صورة أمة ما في أدب أمة أخرى،وهذا ما يساهم في فهم طبيعة العلاقات بين الشعوب ومن ثم تكون الصورة مؤشر أو إشعاع داخل النص يمنح المقارن إمكانية المقارنة بين الآداب،فالمقارن يهتم بتسجيل ما صوره الرحالة عن الأمم الأخرى،ما هي أكبر الانطباعات وأرسخها؟وما هي الأماكن الأكثر حضورا؟وبعد ذلك يحلل المقارن المنظور الذي رأى به الرحالة الأمة التي سافر إليها،وكيف استقبل أبناء وطنه نصه؟وكيف أثر فيهم؟وما هي أصداءه؟ومن ثم يقوم برسم الصورة المقارنة التي هي من صميم عمله[3].

إن أهمية الرحلة في الأدب المقارن تكمن في كونها وسيطا ينقل صور وحكايات وآداب الأمم بعضها من بعض،على رغم مما قد يشوبها من تضخيم في المخيال وصور نمطية وتحيزات ثقافية إلا أنها ذات أهمية كبيرة للمقارن الذي يترتب عليه الحذر في التعامل معها وتدقيقها وتعديلها وتقديم الصورة المقاربة للواقع،وإن كان المقارن لا يمتلك منهجا واضحا في التعامل مع الصور،يقول"الحجمري"نقلا عن كتاب"سعيد علوش" " اشكالية التيارات

[1]ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن،منشورات اتحاد الكتاب العرب،سورية،ط1، 2000،ص114.
[2]سعيد علوش اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1، 1986،ص146.
[3]مناف منصور،مدخل إلى الأدب المقارن،سعيد عقل وبول فاليري،منشورات مركز التوثيق والبحوث،لبنان،ط1 ،1980، ص78.

والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي "في"**هذا الفرع الصورلوجية من الأدب المقارن لا يوجد منهج علمي قائم الذات،إذ توجد فرق البحث التي تطور طرق تقصيها بقصد تقديم تعريفات مرضية للميث،وللصورة وللقالب والنمط –الأثني وهي مفاهيم جديدة تنحت لإعطاء هذا العلم المقارن أداة صلبة**".

4.1 الاستشراق والأدب المقارن:

قد يطول الحديث عن موضوع الاستشراق[1]*في الفكر والأدب العربي،وتتعدد مداخله ومدارسه وتوجهاته،كما أنه موضوع يحدث جدلا بين رافض وناقد له ومبرر ومنفتح

* [1] "إن تحديد وضبط مفهوم واضح ودقيق للاستشراق فيه من الصعوبات ما يجعلنا نتراجع عن وضع كثير من التعريفات التي تراكمت عبر موجة الكتابة والتأليف التي حازها هذا الموضوع، إذ أن مفهوم الاستشراق يختزن كثيرا من العلاقات والخطابات داخله،تجعل من الاسفاف به أن نضعه في تعريف بسيط، أو أن نربطه بمرحلة تاريخية بعينها،ولا أدل في ذلك

عليه،لكن ما لا خلاف فيه هو الأثر الثقافي والمعرفي له في المنظومة العربية ضمن مستوياتها المتعددة خاصة في ما اتصل باللغة والدين والتاريخ هذه الثلاثية التى عكف المستشرقون عليها عناية وفحصا،والاستشراق برغم مغالطاته وتحيزاته وترسيخه للصور النمطية ساهم في بعث عدد من الكنوز والجواهر المخفية في تراثنا العربي،ومسح الغبار عن نصوص أهملت وهي على قدر كبير من الأهمية،أذكر هنا نصوص المتصوفة فلولا بعض المستشرقين ما كان لنا أن نقف على شعرية وعمق ما كتبه"النفري"في "المواقف والمخاطبات"والأمثلة كثيرة في هذا الباب،و فوق كل هذا فإني أُوجه الطلبة الأفاضل إلى استعمال العقل النقدي في قراءة نصوص الاستشراق وغيرها من النصوص وعرضها على ميزان العقل قبل التسليم بها أو رفضها.

وعلى كل فإن علاقة الأدب المقارن بالاستشراق ترتهن إلى مفهوم الوساطة،فالمستشرقون في اطلاعهم على الأدب العربي سجلوا عددا من الملاحظات،وترجموا كما معتبرا من نصوصه

من "ادوارد سعيد" في كتابه "الاستشراق" والذي يربط فيه الاستشراق بمراحل تاريخية مختلفة، ويضعه ضمن خطابات متعددة، فهو يرى أنه من الأجدى أن لا يغامر المرء باطلاق تعميمات على هذا المفهوم، على ما فيه من الغموض الذي يعتريه والأهمية التي يحوزها ، وربما هذا ماجعل " محمد أركون" يسمُ الاستشراق بالسديم العلمي والضبابي كونه يجمع أطيافا متعددة من المعرفة والإيديولوجيا و الحديث عن الاستشراق في تحديداته الابستيمية،يتطلب رصد مجموعة من المفاهيم التي شكلت شبكة العلاقات التي يتأسس داخلها الاستشراق ويأخذ أبعاده المعرفية فيها، إذ أن مقولات: الجهات، المعرفة، القوة، التحيّز، السيطرة، التابع، المخيال، التمثيل، الطبائع، كلها أنساق فرعية متساندة ضمن نسق عام هو الاستشراق، إذ لايمكن النظر لهذا النسق العام إلا من خلال ما تتيحه هذه المقولات الفرعية، والتي تحدد بجلاء طبيعة الاستشراق في كونه مؤسسة معرفية غربية ذات أبعاد متعددة؛ سياسية، واقتصادية، واجتماعية، جعلت من الشرق مادة للوعي والفعل؛ الوعي بالنصوص في تشكيلها وتحويرها وتعديلها، بما يتناسب والثقافة الغربية، ثم ممارسة الفعل الإمبريالي في إخضاع وتدجين الشرق.و ينحو "ادوارد سعيد" إلى القول بأن الاستشراق؛ هو استشراق أكاديمي ضيق، واستشراق مؤسساتي واسع يشمل الأكاديمي ويحتويه، فنصبح إزاء نمطين من الاستشراق؛ نمط أكاديمي بحت حاول دراسة الشرق في أبعاده المختلفة مدعيا تطبيق المنهج العلمي المحايد أسس للاستشراق في نمطه الثاني المؤسساتي وتموقع داخله، إذ من الطبيعي أن تشمل المؤسسة ما هو أكاديمي وتحتويه .هذا التقسيم من سعيد يميز بين هذين النمطين على مستوى الأهداف والمرام، كون الاستشراق الأكاديمي يتسم بنوع من الحياد، دون أن يؤخذ سمة الموضوعية المطلقة، فهو أقل حدة وامبريالية من الاستشراق المؤسساتي و لا نعدم وجود بواعث المؤسسة فيه، هذه المؤسسة ذات الأهداف والممارسات الواضحة في سعيها للسيطرة على الشرق والتحكم فيه من خلال معرفة العقلية الشرقية وما يحرّكها وما يحكمها وكيف يمكن امتلاكها وتدجينها وصياغتها، وهذا ما جعل من معرفة النصوص والقضايا أهمية بالغة في تدجين الشرق، ولذلك أخذ المستشرقون على عاتقهم دراسة اللغات الشرقية والمؤلفات، والحفر في التراث والاطلاع على كل المراحل التاريخية، فاللغة والدين والتاريخ ثلاثية أساسية في المعرفة الاستشراقية"**للاستزادة العودة إلى مقال:استقبال الاستشراق عربيا قراءة في التلقي والتطابق،خضور وليد،مجلة أفاق للعلوم2507-7228ISSN،جامعة زيان عاشور الجلفة،عدد جوان 2018.**

وكتبوا في نقده،مما جعل المتلقين لنصوص الاستشراق في الغرب ينتبهون إلى ثراء وتنوع الأدب العربي ومن ضمنهم المقارنون الذين أوجد لهم الاستشراق الأرضية الخصبة لدراساتهم المقارنة مع الأدب العربي،حيث عكفوا على هذه النصوص قراءة ونقدا،واستلهموا منها فصولا للمقارنة اتفقت وتشابهت مع آدابهم بل اعتبروها نصوصا أثرت في آداب الأوروبية وأذكت جذوة الابداع،فترجمة المستشرق"لين"لـ"ألف ليلة وليلة"والتي طبعت أكثر من ثلاثين مرة جعل"جيب"يقول"**انه لولا كتاب ألف ليلة وليلة لما كان قد ظهر أمثال روبنسون كروزو ورحلات جوليفر ولولاه لكان الأدب الانجليزي أفقر مما هو وأتعس**"[1].

إن المقارنة بين نصوص مثل "ألف ليلة وليلة"(وهي مما نقل إلى العربية) و نصوص روبنسون كروزو ورحلات جوليفر من صميم الأدب المقارن والتي كان الفضل في عقد مقارناتها للاستشراق.

مباحث الأدب المقارن(2)

1.التأثير والتأثر(العودة إلى المدرسة الفرنسية تجنبا لتكرار مادة وقع عرضها وشرحها مفصلة)

المحاضرة العاشرة:التيارات:

[1]أحمد درويش،الاستشراق الفرنسي والأدب العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،ط1 1997،ص30.

1.التيارات والأدب المقارن:

يبدأ "سعيد علوش" كتابه"الإشكاليات والتيارات والتأثيرات الأدبية"بمقولة غاية في الأهمية لـ"فيكتور جرمونسكي"وهي قوله"**يرتبط مشكل التيارات الأدبية،كظاهرة عالمية قبل كل شيء بالتطور و حركة تبادل الآداب،أي بجوهر الدراسة المقارنة للآداب نفسها وهدفها**"[1]فجرونسكي في هذه المقولة يرى بأن التعامل النقدي تحليلا ومناقشة للتيارات الأدبية يعد جوهرا في دراسة الأدب المقارن لما لهذه التيارات من بعد عالمي وحركية ومرونة تسمح لها بالانتقال والتحول بين البلدان والأمم،وهذه هي الشروط اللازمة حتى يعقد الدرس المقارن.

ويقترح الناقد في هذا الكتاب الهام جملة من التصورات التي يجدها ضرورية لدراسة التيارات الأدبية في الأدب المقارن على مستوى الآداب العربية،وهي تصورات منهجية وابستمولوجية؛حيث يرى أن مناقشة موضوع"علم الأفكار"و"تاريخ الأفكار"شرط أساسي في فهم التيارات لما لهذه الموضوعات من قدرة على تحديد أفكار وروح العصر لكل مرحلة،وهذه الرئة التي يتنفس بها الأدب العربي الحديث،إذ لا نستطيع أن نعالج الأدب دون الحديث عن التيارات السلفية و الليبرالية و العقلانية،المثاقفة و الهجرات والاستعمار والحروب والوطنيات[2]فالدارس المقارن لابد أن يقف على رصد روح العصر وضبط الأفكار المهيمنة في الفترات التي يحددها لمقارناته،وهذا لا يتأتى إلا بالتعامل مع التيارات الأدبية والفكرية التي تعمل على توجيهه معرفيا في فهم سياقات النصوص أو ما قبل النصوص بوصفها مجالا هاما لا يمكن إغفاله من طرف المقارن،فتاريخ الأفكار وفلسفة التاريخ،والايديولوجيا و

[1] سعيد علوش اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي،ص5.
[2] المرجع نفسه،ص10.

الأدب العام ونظريات الأدب هي قنوات تتوارد فيها التيارات الأدبية التي تشكل مبحثا أساسيا في الدراسة المقارنة.

وعلى العموم فإن دراسة التيارات في الأدب المقارن:هي دراسة لتيار فكري أو توجه ثقافي أو توجه ثقافي أو فلسفة معينة أو حركة أدبية اتسمت بالهيمنة المعرفية وكان لها زخم وحضور ثقافي وقبول وتوافق اجتماعي،فيحاول المقارن أن يرصدها ويفهم من خلالها أدب ما،ثم يتتبع تنقلها بين الأمم والأثر الذي أحدثته فيلا تنقلاتها،ومثالا على ذلك الماركسية بين الأدب الروسي والعربي أو البنيوية بين الأدب الفرنسي والأدب العربي والواقعية السحرية بين آداب أمريكا اللاتينية والأدب العربي وغيرها من التيارات التي لا يمكن أن نستوفيها حقها أو نأتي على ذكرها كاملة في هذا الدرس،فيبقى علينا أن نذكر أهمها وأكثرها تداولا وتأثيرا في أدبنا العربي.

2.أهم التيارات في الدرس المقارن:

أ.الرومانتيكية"Romanticism"حركة أدبية ظهرت بعد الكلاسيكية وثارت ضدها،أسهمت عدة عوامل ومتغيرات سياسية واجتماعية وفلسفية في نشوئها على رأسها الثورة الفرنسية وحركة الترجمة وخاصة للمصادر الشرقية كألف ليلة وليلة،ويعتبر كتاب"ألمانيا"لـ"مدام دو ستيال"من النصوص التي أشاعت الرومانتيكية في أوربا،ومن أعلامها نجد لامارتين،فيكتور هيجو،ووردز ورث،كوليريدج،وعلى الصعيد العربي تعتبر جماعة الديوان والمهجر و أبولوا من آثار الرومانتيكية في الأدب والنقد العربي[1]ويرى غنيمي هلال أن من أبرز نواحي تأثير الرومانتيكية في الرواية العربية الاتجاه التاريخي في القصة؛إذ أن القصة التاريخية كانت قالبا لإحياء العواطف القومية وبعث الماضي التاريخي للاعتزاز به وبث الروح الوطنية وهذه النزعة صاحبة الثورة الرومانتيكية في أوربا،ويجد أن جورجي زيدان في رواياته التاريخية

[1]يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص159،160.

سار على هذا الأثر الرومانتيكي وحاذ"ولتر سكوت"في منهجه[1]،ويعدد مجموعة كبيرة من الأمثلة على غرار رواية "زينب"لـ"لمحمد حسين هيكل"[2].

ب.**الواقعية"Realism"**من المصطلحات الهلامية القادمة إلى الأدب من حقل الفلسفة وهي نقيض المثالية"**فإذا كانت المثالية ترى أن على الفنون أن تنشر الجمال المثالي الذي يفوق الواقعي،فإن الواقعية ترى أن المحسوسات ليست مجرد أفكارنا عنها وإنما توجد وجودا مستقلا عن إحساسنا بها**"[3]ويرى "فان تيغمّ" أن الواقعية تحددت على يد"سانفلوري"في كتابه "الواقعية"عام1857؛حيث رأى أنه على الفن أن يقدم تمثيلا دقيقا للعالم الواقعي ومن أهم أعلامها بلزاك،فلوبير،ومن الكتاب العرب المتأثرين بالواقعية نذكر:"محمود تيمور،محمود طاهر لاشين،يحي حقي"[4]،ويعتبر"غيمي هلال"أن أثر الواقعية في الأدب العربي كان مع توفيق الحكيم في"عودة الروح"[5]،وأعمال "نجيب محفوظ"التي يجدها خير مثال للواقعية في القصة على طريقة "بلزاك"،ويتحدث هلال عن تأثر نجيب محفوظ بمنهج غربي أخر أصله واقعي طبيعي وهو ما يسمى بالقصص النهرية التي تؤرخ للأجيال المتعاقبة وبدأه في الغرب بلزاك وإميل زولا وسار عليه "جون رومان" وكان له حضور في الأدب العربي عبر أسماء عدة.

_ **البوفارية"Bovarisme"**:لا يمكن أن نتحدث عن آثار الواقعية في آداب الأمم الأحرى والأدب العربي دون أن نأتي على ذكر رواية واقعية لـ"جوستاف فلوبير"(1821 1880) وهي رواية "مدام بوفاري"والتي وقع محاكمته لأجلها سنة1857،وتحولت إلى تيار أدبي قائم بذاته،حيث أن "فلوبير"في بناءه لشخصية"مدام بوفاري"نجح في شحنها بمحمولات دلالية

[1]محمد غنيمي هلال في النقد التطبيقي والمقارن،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،مصردط،دن،ص18.
[2]المرجع نفسه،ص18.
[3]يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص173.
[4]المرجع نفسه،ص173.
[5]محمد غنيمي هلال في النقد التطبيقي والمقارن،ص26.

وثقافية جديدة ومختلفة وإشكالية خلقت ما يسمى"البوفارية"في الأدب والتي"**قوامها الفساد التصوري الذي يؤدى إلى اختلال بين الإمكانات والشهوات التي ينميها الزهو اليقظ**"[1].

لقد أذكت"البوفارية"بوصفها تيار أدبي جذوة المقارنة وحفزت الدارسين على اقتفاء أثرها في الآداب المختلفة،ويقدم الكاتب "محمود هريدي"مقال له في مجلة فصول -العدد الذي خصص للأدب المقارن-دراسة مقارنة هامة حول تيار"البوفارية"في الرواية المصرية والتركية،وقد إختار للمقارنة نص"هكذا خلقت"لـ"محمد حسين هيكل"ومن الأدب التركي رواية"قيرالق قوناق"(قصر للإيجار)لـ"تركي يعقوب قدري"حيث قارن وحلل كيفية حضور هذا التيار البوفاري في الروايتين العربية والتركية والأثر الذي تركته في هذه الآداب[2].

ج.الاتجاه الرمزي"Existentialisme ":وهي تيار فكري وفلسفي نتج عن حالة الضياع والقلق الذي انتاب الإنسان ما بين الحربين و ما ترتب عن ذلك من موت وتشريد ودمار ومن فلاسفتها"سارتر"،"كامو"في الوجودية الملحدة و"كيركجارد"في الوجودية المؤمنة[3] والوجودية هي فلسفة الانعطاف البشري على مستوي التفكير والوعي حيث طرح أعلامها مسألة(الحرية والاختيار) كسبيل لرفع مستوى وعي الإنسان بذاته،وربما كان السياق الحرج الذي ظهرت فيه سببا في الحالة العدمية والعبثية وتفاقم النزعة السوداوية؛حيث أصبح الفرد مجبرا على أن يعيش بين حياة الثورة والتمرد أو العدمية وقد انعكس على الأدب في تيارات اللاوعي وحركة اللامعقول ومسرح عبث[4]،وتتبع الباحثة"ماجدة حمود"في كتابها "مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن" أثر الوجودية في الأدب العربي عاقدة مقارنة بين رواية "الغريب" لـ"كامو" والمجموعة القصصية"صهيل الجواد الأبيض"لـ"زكرياء ثامر"من خلال

---

[1] محمد هريدي،اليوفارية في الرواية المصرية والتركية،مجلة فصول،المجلد الثالث،العدد الثالث،أفريل/ماي1983،ص139.
[2] المرجع نفسه140.
[3] محمد سالم سعد الله،الأسس الفلسفية لنقد مابعد البنيوية،دار الحوار،سورية،ط1 2007،ص64.
[4] محمد سالم سعد الله،الأسس الفلسفية لنقد مابعد البنيوية ،ص64..

حديثها عن الشخصيات في هذه المجموعة القصصية التي هي أقرب ما تكون إلى"مورسو"بطل "كامو"وذلك من منظور العبث،اللامبالاة،ومقولة الحرية،ومقولة الإلحاد،مقولة الموت،ومقولة رفض العمل(البطالة)[1]هذه المقولات والمنظوريات التي هي من صميم الفلسفة الوجودية بوصفها تيار أثر في الأدب،وتجلت في نصوص "كامو"تعتبرها الباحثة حاضرة بقوة في كتابات"زكرياء ثامر"،ويشير "حسام الخطيب"إلى أن روايات "مطاع صفدي" "جبل القدر" و"ثائر محترف"(1960،1961)عبرت بوضوح عن الفكر الوجودي في الأدب العربي[2].

المحاضرة الحادى عشر:النماذج البشرية:

تقديم:

يتحدد مفهوم النماذج البشرية في الأدب المقارن من خلال دراسة صور ومواقف وأشخاص كان لهم حضور في الآداب المختلفة،تتشابه من حيث السلوك و المواقف و الرؤية،ولو عدنا إلى البنيوية الوظيفية في تحديدها لنسق الشخصية ضمن منظور الفعل الاجتماعي،نجد

[1]ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن،ص99 ومابعدها.
[2]يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،ص182.

أن محدد النماذج البشرية يكون مرتبط بحدود "المكانة""Status" و"الدور""Role"وذلك بالنظر إلى المكانة على أنها"**مجموعة الحقوق والواجبات وأن الدور هو المظهر الدينامي للمكانة**"[1] ؛حيث تصبح النماذج هي جملة المكانات والأدوار التي تشابهت بين الآداب وتأثر فيها أدب قومي بأدب بأخر،أو أديب بأديب أخر،فيحاول المقارن أن يتبع نسق الشخصية وتمثلاته بين الثقافات والسياقات المختلفة ،كيف تحول؟و ما هي الاضافات الجديدة فيه؟وكيف استقبله المتلقي؟وما اصداءه في الأدب القومي المستقبل؟وكيف كان حضوره في الأدب القومي الأصلي؟فنتحدث في النماذج عن طبائع شخصيات وصفات معينة؛شجاعة تهوّر،بخل،كرم،نبل،خداع،مكر،وغيرها،ومِهن أو وظائف؛راهب،إمام،وزير،عامل نظافة،حارس مقبرة،كما نعرض إلى سلالات وقبائل،ونماذج غريبة وغيرها.

1.بعض النماذج المدروسة عربيا:

وعليه فإن الإلمام بالنماذج البشرية في الأدب المقارن هو عمل يستحيل تحقيقه،إذ يتطلب جهود مؤسسات لا أفراد،حيث تفرد له مجلدات وموسوعات خاصة نظرا لتعدد النماذج والنصوص وتراكمها،لكن هذا لا يمنع من أن نقدم نماذج تطبيقية لعدد من الدارسين العرب في هذا المجال:يتناول "عبد الحميد إبراهيم"في كتابه"الأدب المقارن من منظور الأدب العربي"في فصله الأول دراسة مقارنة حول الشخصيات الأدبية بين "الحريري"و"كافكا" مفردا الحديث عن أنموذج"البطل/المراوغ"فالحريري في مقامة"الحرامية"يتناول أنموذج البطل"أبي زيد السروجي"ويخلع عليه صفات الشهرة وظرف والبلاغة والتأثير في الناس من خلال تنقله بين المساجد وتغيير زيه وهيأته يقول"**فالحريري لم يختر بطله صدفة بل عمد إلى نموذج يحمل ثقلا تاريخيا وأدبيا فيتحول هذا الثقل إلى خلفية تثير في ذهن القارئ**

[1] محمد عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية،مصر،ط1، 2006،ص 358.

الكثير من التواردات"[1]،والسروجي هو بطل تتحقق فيه ظاهرة "الكدية"التي عرفت في اللآداب الفارسية والهندية والتركية وانتقلت إلى الأدب العربي،هذا البطل المراوغ الذي يستعمل الحيلة والمكر من أجل تحسين أحواله الاجتماعية والتقرب إلى الناس والذي يحضر بشكل أو أخر في رواية "أمريكا""Amerika"لـ"كافكا"من خلال طابع هذه الرواية الهزلي وشخصياتها الكاريكاتيرية ممثلة في شخصية البطل "كارل روسمان"[2].

وينقل"أحمد شوقي رضوان"في كتابه"مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن"حضور شخصية"فاوست"في الأدب العربي،هذه الشخصية التي ابتدعتها الحكاية الشعبية الألمانية وانتقلت إلى الأدب الرسمي مع"غوته"في مسرحية "فاوست"،حيث يأتي الكاتب على تتبع المعالجات الفاوستية في الأدب العربي فيذكر نصوص حصل فيها تأثر مباشر منها:

- عهد الشيطان:قصة لتوفيق الحكيم.
- عبد الشيطان:مسرحية لمحمد فريد أبي حديد.
- فاوست الجديد:مسرحية لعلي أحمد باكثير.

ونصوص عالجت المادة الفاوستية جزئيا منها:

- سليمان الحكيم:مسرحية لتوفيق الحكيم.
- أشطر من إبليس:مسرحية لمحمود تيمور.
- دموع إبليس:مسرحية لفتحي رضوان.[3]

كما يفرد"غنيمي هلال" كتابا للحديث عن "مجنون ليلى"بين العربي القديم والأدب الفارسي والأدب العربي الحديث[4]،ويقدم في كتابه"في النقد التطبيقي والمقارن"فن الصورة الأخلاقية بين "تيو فراست"و"لابروير"و"الجاحظ"حيث يفلرق في البداية بين الصورة الشعرية أو

[1]عبد الحميد إبراهيم،الأدب المقارن من منظور الأدب العربي،دار الشروق،مصر،ط1 1997،ص21.
[2]المرجع نفسه،ص80.
[3]أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن،ص148.
[4]محمد غنيمي هلال،دراسات أدبية مقارنة،دار نهضة مصر للطباعة والنشر،مصر،ط1 1985،ص6.

الأدبية"Image"وصور الشخصيات الخلفية"Portrait"التي هي"**وصف للأخلاق والعادات وبخاصة النقائص والعيوب الذاتية وأثرها في المجتمع من خلال تصوير صاحبها في بعده الجسمي وحركاته وأقواله على أن تكون كل التفاصيل الدقيقة الخارجية معبرة عن دخيلة النفس وبواعث أفعالها**"[1]وغنيمي هلال في هذه المقاربة يقدم أنموذج قديم للكاتب اليوناني"تيوفراست""285ق.م"في كتابه صور أخلاقية،و"لابروير"في مجموع شخصياته،حيث ينتقى شخصية"كلينتون"الشره المستأثر[2]الذي اقتصرت حياته على الحديث عن الطعام والأشربة وشخصيات من "بخلاء الجاحظ"الذي يعتبره "غنيمي هلال" أول من أوجد الصور الأخلاقية في الأدب العربي[3].

هذه المقاربة التطبيقية لـ"غنيمي هلال"هي مقاربة تقوم على المقارنة بين النماذج البشرية وحركتها بين اللآداب انطلاقا من أن الأدب في جوهره هو تعبير عن حياة الناس ونقل للمشاعر والأحاسيس وتصوير للإنسان في أحواله وتقلباته وسلوكياته ومن ثم يتسنى للباحث المقارن النظر في توظيف النماذج البشرية بين اللآداب القومية المختلفة فيقارن بينها ويقف على فروقها وتشابهاتها وتحولاتها بين اللآداب العالمية.

المحاضرة الثانية عشر:الأجناس الأدبية:

يعد تصنيف الأجناس الأدبية"Genres littéraires"أو ما يسميه البعض الأنواع الأدبية من الموضوعات الكبيرة التي شغلت نظريات الأدب مع بزوغ الارهاصات الأولى للنقد وحتى عصرنا الحالي،فقد استأثرت بمجهود كبير من لدن النقاد الذين حاولوا فهم الأشكال الأدبية وتحولاتها وما يطرأ عليها؟وكيف تظهر؟وما علاقتها بالمضامين التي تنقلها؟وغيرها من

[1]محمد غنيمي هلال،في النقد التطبيقي والمقارن،ص49.
[2]المرجع نفسه،ص50.
[3]المرجع نفسه،ص56.

التصورات التي درج علماء الأدب على مناقشتها،وقد لا تكون هذه المحاضرة التي نحن بصددها موجهة لتتبع مسارات نظريات الأجناس الأدبية بقدر ما تستهدف فهمها داخل المنظور النقدي المقارن،بمعنى كيف تعامل الأدب المقارن مع نظرية الأجناس؟وهل كانت من صميم الدرس المقارن؟وما هو الأثر الذي أوجدته هذه النظرية على مستوى الدرس المقارن؟

1.نظرية الأجناس الأدبية:

خفت صوت نظرية الأجناس الأدبية على ما يبدو في النقد المعاصر،أو بالأحرى يمكن القول تلاشى الفهم التقليدي لها،الذي جعلها حدودا وحرمات نقدية-إن جاز التعبير-لا يمكن اختراقها أو دمجها أو مناقشتها بدأ من اللحظة الأرسطية التي أقامت النظرية الثلاثية التى لا تزال حاضرة بتقسيماتها وتصوراتها إلى اليوم عند بعض النقاد،وقد يرجع ذلك إلى القبول الواسع الذي حظيت به تاريخيا وفي كل المراحل وفي كل المراحل النقدية،فهذا التقسيم الذي يجعل الممارسة الأدبية تصب في ثلاث أنواع هي"الغنائي و الدرامي و الملحمي"وتطورا وتناسلا منها ظهرت الأجناس الأدبية الجديدة التي نعرفها في كل مرحلة حسب شروط المرحلة ومناخها.

يعتبر"تودورف"في كتابه"نظرية الأجناس الأدبية"أن هذه النظرية من أقدم المشاكل الشعرية نرتهن في تحديدها إلى منظورين هما الوحدة البنيوية والظاهرة التاريخية،بمعنى أن التعامل مع الأجناس الأدبية ينتظم في تحديدها كبنيات أو تتبعها كتحولات في التاريخ ولكل من هذين المنظورين منهجه وتقنياته ومفاهيمه[1].وهذا ما يوقعنا في تعدد النتائج والتخريجات بين ما هو بنيوي وما هو تاريخي،هذا الحرج لزم نظرية الأجناس في كل مراحلها النقدية،ويناقش "تودروف"فكرة على قدر من الأهمية،حيث يرى بأنه لابد أن نتوقف على تعريف الأجناس الأدبية من خلال الأسماء،فهناك أجناس لم تسمى مطلقا وأخرى امتزجت

[1]تيزفتان تودورف،نظرية الأجناس الأدبية،تر:عبد الرحمان بوعلي،دار نينوى،سورية،ط1 2016،ص12.

تحت مسمى واحد رغم الاختلافات[1] ومعنى هذا أن تعريف بالحد كما يقال في التراث أو الاسم وعدم وصف الهيأة للجنس الأدبي أوقع النقد في مغالطات كبرى في نظرية الأجناس،فدمجت أجناس أدبية تحت مسمى واحد وغيّبت أخرى لم تنل اسما،وهذا ما جعل البعض يرى خطأ نسبتها إلى أرسطو،واعتبر آخرون أن التقسيم الثلاثي غير دقيق،ربما هذا بعض ما أثارته التصورات الاجناسية عند أرسطو،وبالعودة إلى قضية التصنيفات في نظرية الأجناس الأدبية نجد مشاكل اخرى تطرح نقاشا محتدما ومتواصلا،وهي قضية الثنائيات النقدية التاريخية وأهمها"الشكل/المحتوى"وما تفرع عنها من ثنائيات،فالتراث الاغريقي فاتح هذا الموضوع وكان للتراث النقدي العربي يد طولى فيه،في كتابات "الجاحظ" و"الجرجاني"وغيرهما ولم يتوقف النقد المعاصر عن مناقشة هذه الفكرة وتقديمها في أزياء مختلفة،فقد انتصرت توجهات سياقية مدعومة بنظريات فلسفية إلى المحتوى والفكرة معتبرة الشكل هو صيغة تفرضها طريقة توارد وتنظيم الأفكار،وأعّلت توجهات أخرى نسقية من قيمة الشكل واعتبرته أساس الشعرية ملغية في بعض المرات دور المحتوى أو الفكرة تماما،فـ"رينيه ويليك"و"أوستين وارن"في كتابهما"نظرية الأدب"يعتبران أن"**الأدب يمكن أن يستفيد من الأفكار فقط عندما تتوقف الأفكار عن أن تكون أفكارا بالمعنى الاعتيادى للمفاهيم وتغدو رموزا أو حتى أساطير**"[2] هذا ما رفضه الناقد الأمريكي"ليونيل تريلنغ"رفضا قاطعا في مقال له بعنوان"معنى الفكرة الأدبية"واعتبره سوء فهم لمعنى الفكرة في الأدب[3].

الراهن النقدي اليوم تراجع فيه نوعا ما جدل ثنائية"الشكل/المحتوى"تماشيا مع طروحات جديدة دمجت هذه الثنائية ذات الخلفية الفلسفية الديكارتية،ونظرت إلى الشكل في

[1] المرجع نفسه،ص11.
[2] ليونيل تريلنغ وأخرون،المرآة والخارطة،تر:سهيل نجم،دار نينوى،سورية،ط1 2001، ص32.
[3] المرجع نفسه،ص32.

تكامله مع المحتوى،وهذا ما نقف عليه في كتابات "هايدن وايت"من خلال كتابه"محتوى الشكل"وهو عنوان لكتاب تناول فيه صاحبه الخطاب السردي والتمثيل التاريخي معتبرا أن فكرة شكل الخطاب أي السرد لا تضيف شيئا إلى محتوى التمثيل هي فكرة ساذجة لا بد أن نتوقف على الايمان بها[1]،وكذلك نجد هذه التصورات الدامجة في كتابات "تيري إجلتون"ما يصطلح عليه بـ"سياسات الشكل"

ما جعلنى أقتصر في حديثي عن نظرية الأجناس الأدبية على فكرتي:التقسيمات و ثنائية"الشكل و المحتوى"لما لهما من أثر واضح وتجلي بارز في علاقة الأدب المقارن بنظرية الأجناس الأدبية،وهذا ما سأقف عليه في الأتي.

2.الأدب المقارن والأجناس الأدبية:

لعل هذا الزخم الكبير والتنوع والتحول الذي لحق نظرية الأجناس الأدبية لم يُلقى بظلاله كثيرا على الأدب المقارن في فهمه للأجناس و توظيفه لها،فمع ظهور نظريات جديدة،وتحقق قدر كبير من المرونة في النظر للنوع ،والحديث على تداخل الأجناس أو حتى نهاية الفصل بينهما نقديا،بقي الأدب المقارن وفيا للمقاربات التقليدية لنظرية الأجناس من خلال مرجعياتها التاريخية والوضعية التي تتناغم مع مرجعيات بعض توجهات الأدب المقارن،أو لنقل المدرسة الفرنسية،فمقولة"برونتير"التي نقلت الفهم البيولوجي للنوع إلى حقل الأدب،واعتبرت أن النوع الأدبي مثل النوع الحيواني في ظهوره وتطوره ونهايته،فبرونتير مزهوا بالتطور العلمي الحاصل في القرن التاسع عشر ،ومأخوذا بنظرية "داروين"في النشوء والارتقاء،ومشحونا بالفلسفة الوضعية اعتبر أن هذه المقولات البيولوجية قابلة للتطبيق على النص الأدبي،بحثا عن أعراف علمية في الأدب ،ورواد الأدب المقارن التقطوا هذه

[1] هايدن وايت،محتوى الشكل،تر:نايف الياسين،هيئة البحرين للثقافة والآثار،البحرين،ط1 2017،ص13.

المقولة ووجدوا فيها ما يتناغم مع تصوراتهم المقارنة للأجناس الأدبية،وما يسهل أو يمكن تطبيقه في فهم الأدب خارج الحدود الاقليمية أو ضمن العلاقات الدولية للآداب.

ويعد"ايتيامبل"من المقارنين الأوائل الذين دعوا إلى دراسة الأنواع،وكذلك فيما قدمه"كلود بيشو و أندريه روسو"في كتابهما"الأدب المقارن"و "**قد وضعا بعض النقاط المفيدة للمقارن تقع بين البنيوية وتاريخ الأدب؛منها أن الأدب المقارن هو الوحيد الذي يمكنه أن يضع تعريفا للأنواع يتوسط بين الجوهر المجرد المستنزف والركام غير المتماسك من الابداعات الفردية**"[1]ف"بيشو،روسو"في هذا الكتاب يقدمان تصوراتهم المقارنة في نظرية الأجناس،ويعتبران أن الدراسة السينكرونية للأنواع الأدبية وسياقات ظهورها وتطور أجناس عنها تساهم في تعميق فهم المقارن الذي عليه أن يرصد هذا الظواهر يقول "بيشو":"**يجب علينا أن نحتفظ في دراسة الظواهر السينكرونية الخاصة بالأدب العام بمكان متسع لدراسة ظروف الحياة ابتداء من أكثرها مادية إلى أكثرها تساميا وإلى ما ينتج عنها بالنسبة للمشاعر والأخيلة،فالمقارن يسأل نفسه إذن عن شكل الحضارة التي يرتبط بها الأدب:حضارة البلاط،الحضارة المدنية،الحضارة الريفية،فلكل نمط من هذه الأنماط أشكال أدبية بعينها ترتبط بها:فإلى النمط الأول ينتمى شعر البلاط أو الغزل وإلى الثاني تنتمى رواية العادات وإلى الأخير الأسطورة،إنها علاقة تأثيرات وانعكاسات في نفس الوقت،وسوف يتساءل المقارن أيضا عن الاختيارات السياسية والأخلاقية والدينية والميتافيزيقية للجماعات التي أعلن الكاتب انتماءهم إليها أو معارضتهم لها هنا وهناك**"[2]

[1]أحمد عبد العزيز،نحو نظرية جديدة للأدب المقارن،مكتبة الأنجلوالمصرية،مصر،ط1 2002،ص58.
[2]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص163.

إذن"بيشو،روسو"في هذا الكتاب يعتبران أن الجنس الأدبي والظروف المحيطة به،وما ينتج عنها والتحولات التي تطرأ عليه وانتشاره وبيئته كل هذه العناصر تساهم في بناء التصور المقارن للأجناس الأدبية خارج الحدود القومية.

وحتى نفهم أكثر ونعطى أمثلة واضحة نحاول النظر في المنجز العربي في هذا المجال ونكتفى بمنجز"غنيمي هلال" وإن كانت هناك كتابات كثيرة في هذا المجال ،ففي كتابه"دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب المعاصر"يفرد فصلا للحديث عن الأجناس الأدبية،فبعد أن يفرغ من تقديم التعريفات والملاحظات التاريخية حول نشأة نظرية الأجناس يبدأ في شرح دور الأدب المقارن في نظرية الأجناس الأدبية معملا تصورات المدرسة الفرنسية التي لم يبرحها معرفيا،فيتناول قضية التأثير والتأثر،ويشير إلى ما أسماه تعاون اللآداب العالمية في نشأة ونمو الأجناس الأدبية يقول:"**وحسبنا أن نذكر هنا أن الأجناس الأدبية قد تنشأ طبيعية في اللآداب القومية دون استعانة في نشأتها بالآداب الأخرى،ولكنها حين تنهض وتنضج فنيا استجابة للحاجات الاجتماعية والفكرية تستمد عادة أكثر عوامل نهوضها ونموها من الآداب الأخرى بفضل المجددين المتبحرين من أهل اللغة القومية**"[1]،غنيمي هلال يستشهد على فكرته هذه بالقصيدة العربية في الأدب الجاهلي،ويعتبر أن انفتاح الشعر العربي على الثقافات الأخرى و تخلصه من المظاهر البدوية أعطى قوة ورونق للقصيدة العربية المعاصرة،وأصبحت تجربة أدبية تتوفر لها الأصالة الفنية[2]ومن جهة أخرى يعتبر أنه"**قد ينشأ جنس أدبي في الأدب القومي عن طريق تأثر هذا الأدب بالآداب الأخرى،مثل المسرحية ومثل القصة في معناها الفني في أدبنا العربي**"[3]وهذا ما يطبقه في حديثه عن المسرح الشعري الذي يثبت من خلال الحديث عنه مقولة التأثير ويعتبر "مارون

[1]محمد غنيمي هلال،دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب المعاصر،نهضة مصر،مصر،دط،دن،ص44.
[2]المرجع نفسه،ص45.
[3]محمد غنيمي هلال،دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب المعاصر،ص46.

النقاش"كرائد للمسرح العربي في سفره للأقطار الأوروبية استلهم توجهه المسرحي،ثم يأتي على ذكر"أحمد شوقي"وأثر الثقافة الفرنسية في مسرحيته"مجنون ليلى"[1].

3.نحو قراءة مقارنة جديدة للأجناس الأدبية:

إن هذا الفهم التقليدي والتاريخي الوضعي الذي تناغمت فيه نظرية الأجناس الأدبية مع الأدب المقارن وخاصة في نسخته الفرنسية،والذي أصبح غير اليوم على تقديم اضافة جديدة فيما يخص النظر للأجناس الأدبية بمنهجية مقارنة،فالأفكار ذاتها التي طرحها الرواد لازالت حاضرة ويعاد استهلاكها مع تقديم نماذج جديدة أو بالأحرى تغيير الأجناس وتحويرها على المادة النظرية المستهلكة،وأنا هنا أتحدث عن حدود إطلاعي بالكتابات العربية التي كررت "غنيمي هلال"وأعادت انتاج تصوراته التاريخية والوضعية،فهل من سبيل إلى تقديم فهم مقارن جديد لنظرية الأجناس الأدبية؟يجيبنا عن ذلك المقارن والمترجم"أحمد عبد العزيز"في كتابه الهام جدا في هذا الباب بعنوان"نحو نظرية جديدة للأدب المقارن"الكاتب بداية من العنوان يرفع سقف طموحه بالمضي نحو نظرية جديدة للأدب المقارن،إذ يسجل امتعاضه الشديد من الفهم الميكانيكي للأجناس الأدبية عند بعض المقارنين العرب،ويعتبر أن الأرضية المعرفية التي ينطلقون منها تجاوزها النقد المعاصر ولا مجال للإبقاء عليها في تطبيقات الأدب المقارن،حيث يفكر في تشيد سقف جديد يتحرك تحته الأدب المقارن عربيا ضمن منظور الأدب المقارن ونظرية الأجناس الأدبية،وهو في هذا حتى وإن كان ينطلق من نظريات ومقولات ومصطلحات ومناهج نقدية غربية إلا أنه يسعى لإعطاء نفس جديد أو ثان للدرس المقارن العربي،أو ربما تصور منهجي عربي خاص يستثمر في التراكم النقدي الغربي المعاصر،في مقولات النقدية مع "جوليا كرستيفا"و"جيرار

[1]المرجع نفسه،ص48.

جنيت"و"بارت"و"تودروف"وغيرهم،منتجا توليفته المقارنة الخاصة،التي تتجاوز التقليدي والسائد وتطرح المختلف والمستقبلي.

يقترح في دراسته هذه مجموعة من المفاهيم والمصطلحات للأعلام الذين أوردته سابقا،ويحاول أجرأتها وتبيئها داخل حقل الدرس المقارن مقترحا مجموعة من الخطوات الاجرائية التي أرست عنده ما يمكن تسميته ظلال النظرية يقول:"**لعلنا بعد هذه الرحلة الطويلة نستطيع اقتراح نظرية جديدة للأنواع في الأدب المقارن تقوم على ما يلي:**[1]

- غياب البنية الثابتة للنوع الأدبي.
- اعتماد مفهوم جامع النص"Architexte"كبديل للنوع ويشمل الخطابات والصيغ والأنواع.
- اتساع مفهوم النوع وجامع النوع"Archigenre"والنمط.
- التآزر بين الشعرية البنيوية والتاريخية،وضم أنواع مضمونية ترتبط بالبنية الاجتماعية والثقافية.
- اعتماد تقسيمة جديدة للأنواع،تفتح الدائرة أمام أنواع جديدة لتضاف وأخرى حدودية تحذف.
- اضافة نوع جديد هو نوع حياة المؤلف،ومقارنة الحيوات وتفسيرها بنصوصهم الأخرى.
- ينهض الدرس المقارن للأنواع على التناص،ومزج الأنواع،ودراسة الثابت والمتحول في بنية النوع،وقد تكون هذه الثوابت موضوعية أو صيغية أو شكلية،كما أن تحطيم بعض الأنواع لذاتها قياسا على تحطيم النصوص لذاتها،يخلق عندنا ما يمكن أن نسميه نوع الحدود قياسا على نص الحدود.
- تمثل التحولية أساسا من أهم أسس جامع النص المقارن.

[1] أحمد عبد العزيز،نحو نظرية جديدة للأدب المقارن،ص66.

- تحويل لذة النوع إلى لذة معرفية موضوعية تدرس التناص في نص واحد أو تناص النص الواحد في عدة نصوص وأثر ذلك في تشكلات النوع.

هذه النقاط هي أهم ما جاء به"أحمد عبد العزيز" في كتابه الذي تصدى لعلاقة الدرس المقارن بالأجناس الأدبية،وعلى العموم فإنه ولو تعددت الممارسات أو الطروحات النظرية في ما يخص نظرية الأجناس الأدبية في حقل الدراسات المقارنة فإن الغاية الأساسية في الحديث عن الأجناس الأدبية هي ابراز التحولات و التنويعات والآثار التى تنتج عن حركة الأدب خارج النطاق القومي وانعكاسها على الأجناس الأدبية.

المحاضرة الثالث عشر الأدب والأسطورة:

تشغل الأسطورة حيزا معتبرا من اهتمامات مؤرخي الأديان وعلماء الاجتماع وعلماء الأجناس وغيرهم من الباحثين الذين تدخل الأسطورة في عمق تخصصاتهم البحثية؛كنقاد اللأدب

ومؤرخو الفنون،ولقد عددت الأسطورة تأويلاتها وفهومها في طريقة نظرها و تعبيرها عن الأشياء و الأشخاص والوجود،فتعددت معها التعريفات وتباينت النظريات عند هولاء العلماء في تعريف وفهم كيف تظهر وما طبيعة نظرها للأشياء،وكيف تتنقل وتتحول بوصفها بنية في تاريخ توارثتها الأجيال شفهيا ثم دونت وجرى توظيفها لأغراض دينية أو معرفية أو جمالية،فالأسطورة كما يرى "مارسيا إلياد""**واقع ثقافي مركب جدا يمكن تناوله وتأويله من وجهات نظر متعددة ومتكاملة**"[1]فهو يعتبرها حكاية خلق قدسية أو تفسير لشيء أو حدث وقع في زمن البدايات[2]**وهي شكل للحياة وللتوجيه والفكر** عند"فان ديرلاو"وهي عند"فريديرك ماكس مولر""**الظل المظلم الذي تلقيه اللغة على الفكر**"وهي عند"فرانك فورت""**ليست إلا معطفا أُختير بدقة للفكر المجرد**"وهي عند"ألكسندر كراب""**حكاية تلعب فيها الألهة(بالمعنى الواسع للكلمة)دورا أو عدة أدوار**"[3]

هذه التعريفات المتعددة للأسطورة تعطى لها فهما بانورامیا يخلع عليها وظائف وعلاقات مختلفة،وهذا ما يفسر اعتبار "إلياد" الأسطورة واقعا ثقافيا مركبا يعدد تأويلاته،حيث أن ارتباطها بالإنسان وتبريرها لأفعاله وتفسيرها للظروف المحيطة جعلها تأخذ طابعا من المرونة والقابلية للتحول والتناسل في كل اللحظات التاريخية وفي كل الثقافات الانسانية.

1.الأسطورة والأدب:

تلقى الأسطورة بظلالها على الأدب قديمه وحديثه،وإن اختلفت طريقة حضورها في هذه العصور على النص الأدبي،فالأدب القديم في نقله لها كان يتمظهر بوصفه ناقلا ومدونا لأحداثها

[1]لوليدي يونس،الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية،مطبعة انفو برانت،المغرب،ط1 1996،ص6.
[2]المرجع نفسه،ص9.
[3]نفسه،ص7،8،9.

وشخوصها وعجائبها،إذ في بعض النصوص يكون صوت الأسطورة أقوى من صوت الأدب بما هو كتابة جمالية وأسلوب وشكل ومحتوى،أما حديثا فقد حضرت الأسطورة في الأدب بوصفها توظيفا واعيا وجماليا عند الأدباء،وفوق كل هذا فإن العلاقة بين الأدب والأسطورة هي علاقة متداخلة الوشائج تكاد تنمحى الحدود بينها عند بعض الدارسين،فالفيلسوف واللغوي الروسي"ألكسي لوسيف"يجد بأن"**الأسطوري هو أسلوب التعبير عن الشيء وليس الشيء ذاته،وفي هذا المنحى لا يمكن رسم حدود واضحة بين الميثولوجيا والشعر كلاهما يعيش في عالم ملهم وهذا الإلهام هو طريقة ظهور الأشياء وكيفية تشكلها وفهمها**"[1]فلوسيف يعتبر أن التقارب بين الشعر والأسطورة يتحقق في كونهما صيغتين تعبيريتين عن الظواهر والأشياء بأسلوب ملهم،فهذا الفهم للأسطورة يجعلها ألصق ما تكون بالأدب،فهي"قصة حافلة بالمعني كما يقول "إلياد"مثل الشعر تماما[2]،ويعتبر"مارك اجيلدلنجر"في كتابه"Lumières du mythe"أنه لا يمكننا الفصل بين الأدب والأسطورة مقترحا فكرة"الأسطورة الأدبية"" Le mythe littéraire"مؤكدا بأن الأسطورة لم تصبح متميزة إلا لأن تداولها بواسطة الأدب أحسن من تداولها شفهيا[3]فهو يجد بأن النص الأدبي هو الذي صاغ الأسطورة في أشكالها الكتابية المتداولة،وأخرجها من الصيغة الشفهية التي هي الصيغة الحقيقية للأسطورة،و هي من منظور أخر تراث شفاهي عند فئة من الفلاسفة والعلماء الذين يعارضون بشدة هذا الربط الكلي بين الأسطورة والأدب،فهذه الطبيعة الشفهية والحرية وتعدد والتناسل الذي تتسم به تضيق به القوالب الأدبية التي لا يمكنها أن تُخضع الأسطورة،هذه القوة المقدسة التاريخية إلى حدود النص الأدبي،فـ"كلود ليفي شتراوس"يرى بأن"**جوهر الأسطورة لا يوجد في الأسلوب و لا في**

[1]ألكسي لوسيف،فلسفة الأسطورة،تر:منذر بدر حلوم،دار الحوار،سورية،ط1 2000،ص113.
[2]مرسيا إلياد،مظاهر الأسطورة،تر:نهاد خياطة،دار كنعان،سورية،ط1 1994،ص5.
[3]لوليدي يونس،الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية،ص36.

طريقة السرد ولا في التركيب ولكن في الحكاية التي تحكيها الأسطورة فهي تختلف عن الشعر والحكاية والخرافة"[1].

هذا الموقف من"شتراوس" تناقض تماما مع تصورات"لوسيف ومارك"فهو بخلاف ما يعتقدون لا يرى في الأسطورة طريقة تعبير عن الأشياء بقدر ما هي جوهر ذاتي تنقله الحكاية بأسلوب معين،فهي ليست أداة تعبيرية بقدر ماهي أحداث ووقائع وشخوص نقلتها الحكاية.

سواء اتفقنا أو اختلفنا مع هذه المواقف من الأسطورة،تبقى العلاقة بين الأدب والأسطورة علاقة تاريخية ووظيفية وجمالية،قدّم فيها الأدب للأسطورة الوسائط لتمنحه هي مرونتها وتعدد قراءاتها وتأويلها وأبعادها الجمالية والعجائبية.

2.الأسطورة والأدب المقارن:

تنحو العلاقة بين الأسطورة والأدب المقارن إلى تأكيد على مدى أهمية الدرس المقارن في فهم الآداب العالمية والأدب العام بشكل أكثر دقة وتنظيم،فدراسة الأسطورة أبانت على الحاجة الماسة لتخصص معرفي يمتلك الأدوات المعرفية والصيغ المنهجية التي يرصد بها ويراقب تحول الظواهر وتطورها وانتشارها وخفوتها في مناطق وعصور مختلفة،ومن ذلك الأسطورة التي أعطت سببا وجيها للدرس المقارن ومدته بمادة بحثية غنية ومتنوعة،تتجلى فيها بوضوح حركية الآداب وتأثيراتها المتبادلة،هذا ما جعل"بيشو،روسو"في كتاب الأدب المقارن يعتبران أن الأسطورة سهلت عمل المقارن الذي يبدو كم لو كان في منزله الخاص،ف"بروميثيوس"و"أبولو"و"هرقل"ينسجون منذ قرون شبكة كثيفة[2]،هذه الشبكة التى سهلت عمل المقارن حسب"بيشو"وجعلت رحلته بين الآداب وكأنه لم يبرح بيته،هذا البيت ذو الجدران المتحركة كما يعلق"هنري باجو"على فكرة"بيشو"بنوع من السخرية[3]معتبرا أن دراسة

[1]لوليدي يونس،الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية،ص6.
[2]كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص227.
[3]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص143.

الأسطورة في الأدب المقارن ليست بالأمر الهين،ولا يمكن النظر إليها على أنها شبكة واضحة من العلاقات الدولية بين الآداب نسجتها الأسطورة وبقي على المقارن إزالة الغبار عنها ليس إلا؟

يرى "هنري باجو"بأن الأساطير من المواضيع الحديثة نسبيا بالنسبة للمقارن،عكس دراسة الموضوعات والصورلوجيا،ويعتبر أن أسطورتي "فاوست"و"دون جوان"دعامتين من دعامات"علم الأسطورة المقارن"ويجد بأن عدد من الدارسين يخلط بين علم الموضوعات ودراسة الأساطير في الأدب المقارن [1] ،ذلك أن الأساطير تتداخل مع الموضوع والفاعل والدافع والصورة والنموذج[2]،مما يعقد مهمة الفرز بينهم داخل الدراسة،وقد ينجر على ذلك الخلط بين الموضوعات والأساطير،وإن كانت"**كل أسطورة موضوع لنص ولكن ليس كل موضوع أسطورة**"وحسب"باجو"فإن السبيل إلى تجنب هذا الخلط هو معرفة ماهية الأسطورة الأدبية وماذا تعنى الأسطورة للأدب مقارن[3].

ويبدو أن هذا الخلط هو نتيجة لأن دراسة الأسطورة تبدأ من موضوع الأسطورة ذاتها لا الشكل أو النوع الأدبي[4]وإجمالا فإن"**الأسطورة في الأدب العام المقارن هي تتبع لمجموع التحولات التي يخضع لها السيناريو،وهي ذات طابع فكري وجمالي أو ناتجة عن خيال ما مختلف عن خيال الأسطورة في نصوصها القديمة التي يتناولها الكتاب ولا بد أيضا من تفسير لماذا يلجأ كاتب أو جيل ما إلى استعادة سيناريو معين وتفعيله**" [5]؛والسيناريو هنا معناه تصور الكتاب وكيفية توظيفهم للأسطورة في نصوصهم،ومن ثم هذا السيناريو يخلق مسافة بينه وبين الأسطورة في النص الأصلي ويحاول أن يجد له حضور وتأثير بمنأى عن النص الأصلي ولذلك يتوجب على المقارن تتبع هذه التحولات وحركتها ف الآداب وما جدّ فيها وطرأ انطلاقا من الأنموذج الذي هو

---

[1] المرجع نفسه،ص143.
[2] نفسه،144.
[3] نفسه،144.
[4] مناف منصور،مدخل إلى الأدب المقارن،سعيد عقل وبول فاليري،ص83.
[5] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص153.

الاطار العام للأسطورة،وبتحديد الثوابت والمتغيرات فيه،والبحث عن اللقاءات والتوالدات والتقاطعات بين المضامين الأسطورية في الآداب وتحليلها وتفسير ها نكون بصدد الدراسة المقارنة للأساطير.

يتحدث"باجو" في قراءة الأساطير عن ثلاث أطوار قرائية وهي،أن يدرس النص(المخطط الأسطوري)ومشاكل التناص(الانتقال من نص إلى أخر ووجود صورة عن الأسطورة في النص)والمسائل المتعلقة بالأشكال والأجناس الأدبية مقارنة مع المخطط الأسطوري(التحولات الجانبية)[1]ويمكن النظر إلى هذه الاستراتيجية القرائية عند"باجو"على أنها ذات توجه بنيوي واضح في قراءة الأسطورة وهو توجه رائج في دراسة الأسطورة عند"جون بياجيه"و"شتراوس"وغيرهم وربما ما يجعل"باجو"يعتمد هذه الاستراتيجية في الأدب المقارن هو تجنب الوقوع في الخلط المنهجي بين الأسطورة والموضوعات.

يقدم النقاد الفرنسي"بيير برونيل"منهجه في النقد الأسطوري معتبرا اياه قابلا للتطبيق في الأدب المقارن بحذر وتحفظ[2]،من خلال القوانين الثلاث التى صاغها "الانبثاق"،"المرونة"،"الاشعاع"ويعتبر"برونيل"هذه القوانين الثلاث صالحة ليس فقط لتتبع الحضور الأسطوري في الآداب بل يمكنها أن تعمم بوصفها منهجا أو مقاربة صالحة للتطبيق على كل موضوعات الأدب المقارن[3]؛فقانون الانبثاق:الذي يرصد الاشارات الأسطورية التى ترد في نص معين دون التوقف على الاشارات الواضحة فقط يعتبره"برونيل"صالحا للمقارنة عموما من حيث أنه يمكن المقارن من أن يلتقط اشارة أو كلمة أجنبية ترد في نص وينطلق منها في مقارنته،وقانون المرونة:الذي يتحدث عن سهولة الاقتباس ومقاومة العنصر الأسطوري في النص،يمكن كذلك أن نقارب به كل عنصر أجنبي في النص و نقف على مقاومته داخل

[1]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص161.
[2]المرجع نفسه،ص153.
[3]نفسه،ص35.

النص،وقانون الاشعاع:الذي يعتبر أن العنصر الأسطوري يمتلك قدرة على الاشعاع الدقيق والكامن في النص،و كذلك العنصر الأجنبي ضمن النص هو نقطة اشعاع واضح،مثل العبارات التوجيهية والخلفية النصية التى لا يمكن دراستها إلا من خلال العودة إلى العنصر الأجنبي الأصلي،تماما مثل الخلفية الأسطورية التي لا يمكن دراستها إلا من خلال المخطط الأسطوري و العودة إلى الأسطورة الأصل[1].

وعموما فإن الدراسات المقارنة للأسطورة فتحت أفقا معرفيا رحبا للمقارنين وأوجدت تراكما في النصوص والمواد القابلة للدراسة المقارنة،فالأسطورة بطابعها الشمولي وتنظيمها الذاتي انتقلت إلى النصوص وتناقلتها الآداب من خلال النصوص،فكان لكل ثقافة نصوصا وظفت الأسطورة مأثرة ومتأثرة،ولنا في أسطورة"أوديب"مثال واضح على تأثير الأسطورة في الآداب العالمية بشكل كبير،وفي كل العصور،وعند كل القوميات،فهذه الأسطورة أنتجت نصيا عند أكثر من ثلاثين شاعرا و كاتبا ومسرحيا في العالم ومن بينهم الكاتب المصري"توفيق الحكيم"[2] والذي تأثر أيضا بأسطورة أخرى هي"بغماليون"في مسرحيته التى تحمل عنوان الأسطورة ذاته،وقد كان تأثره عبر نص وسيط هو"مسرحية بغماليون"للكاتب الايرلندي"برناردشو"[3]،وقد عُقدت دراسات كثيرة حول تأثير هذه الأسطورة وغيرها في الآداب العالمية،من خلال مقارنات متعددة بين النص الاطار ونصوص أخرى من جهة،وبين نصوص قومية ونصوص أخرى حضرت فيها الأجواء الأسطورية.

المحضرة الرابعة عشر الموضوعات:

1.الموضوعات في الأدب المقارن:

[1] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص154.
[2] محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن،دار الشروق،مصر،ط 1 1994،ص73.
[3] ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن،ص11.

تشكل الموضوعات في الدراسات الأدبية عموما،مجالا معرفيا له حدوده المنهجية وعدته الاصطلاحية وأعلامه،إذ لا يمكننا أن نتحدث عن هكذا مجال دون أن نذكر"غاستون باشلار"و"جورج بوليه"و"جون بيار ريشار"وغيرهم من الأعلام الذين طوروا الدراسات الموضوعاتية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين،هذا والاهتمام والتحول صوب المنهجية الموضوعاتية جعل المقارنين ينتبهون إلى مدى أهمية الموضوعات في الأدب المقارن،بعد تحفظ الجيل الأول من المقارنين وصمتهم إزاء الموضوعات،فقد أصدر"ريمون تروسون"مقالة بعنوان"دفاع عن تاريخ الموضوعات"في مجلة الأدب المقارن سنة"1964"/العدد11[1]،وبعد هذه المرحلة توالت الدراسات المقارنة التي تدرج الموضوعات في صلب اهتماماتها البحثية.

2.دراسة الموضوعات:

تكون الموضوعات أفكارا وتصورات في أذهان الكتاب لا يلبث أن يمنحها الأدب شكلا يمكن دراسته،سواء في تتبع تحولاته عبر التاريخ أو في الكيفية البنيوية التي قدم بها،وفي الأدب المقارن لا يعتبر "الموضوع"ملكية فكرية للمقارنية عكس دراسات الصورولوجيا[2]،وقد أثار نقاشات اصطلاحية ومنهجية متعددة ربما أبرزها الخلط بين الموضوعات ودراسة الميثات في الأدب المقارن(انظر محاضرة الأسطورة) وكذا تعدد المقاربات التي تعتبر الموضوع جزء في تخصصها ،فقد تتنازع حول الموضوع المناهج النصية و ما وراء النصية،ويعتبره مؤرخو الأفكار من صميم دراساتهم،علاوة على أن تحديد تعريف جامع ومناع للموضوعات في الأدب المقارن غير متاح ولا ميسور،إذ هل يمكن أن نعرف الموضوعات من خلال تصنيفها؟كأن نقول موضوعات تاريخية،موضوعات عالمية(الحرب،المدينة،الطفولة،الوحدة،الانتحار)وموضوعات اجتماعية ومهنية وغيرها[3]،وبهذه الطريقة يكون من الصعب جدا-إن لم يكن مستحيلا –احصاء هذه

[1]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص117.
[2]المرجع نفسه،ص117.
[3]دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص118.

الموضوعات مع التحولات التي تلحقها بين الآداب في العالم،ويعتبر"باجو" أنه في مواجهة التصنيفات المختلفة نشرع في التفكير بالتصنيف ألفبائي للموضوعات [1] ،ربما قد يحول دون وقوع أخطاء أو نسيان وإغفال لكثير من الموضوعات ويجد أنه من المفيد كذلك في الأدب المقارن تسجيل الموضوعات العالمية من خلال الفروق التي تظهر عليها في تحولها بين الثقافات يقول:"**يبدو جيدا أنه يُنظر إلى الموضوعات العالمية،وتفسر وتسجل بطريقة مختلفة من ثقافة إلى أخرى:الانتحار بالطريقة الأوروبية أو الانتحارات المتعددة بعد إصدار "فيرتر" مثلما علمنا أو الانتحار الياباني للكاتب "ميشيما"،تشكل مواقف انسانية أو ممارسات ثقافية مختلفة بشدة**"[2].

إن تسجيل الموضوعات العالمية من خلال قراءة السياق الثقافي وضبط الفروق كما يقدمها"باجو"عمل هام،ووسيلة لإعادة رسم التجمعات الأدبية التي تتجاوز الحدود اللغوية والتاريخية[3]،ويحصر"غويار"دراسات الموضوعات في الأدب العالمي في عدد من التصنيفات هي:[4]

- الموضوعات الفولكلورية:التي دائما ما أمدت الأدب بأثار كثيرة فهي الخزان للشخصيات(فاوست مثلا) والتقاليد والمواقف،وهذا ما يسميه "بيشو"بالعجائبية الفولكلورية[5].
- المواقف:المواضيع التي تنبنى على مواقف بتحديدها وجمعها ومقابلتها،على أن مقابلة المواقف ليست هي أساس الأدب المقارن وانما من المهم استخراج الفروقات الشخصية والوطنية في معالجة موقف واحد،مثال ذلك أنموذج"الزاني"أو "المجرم" رغما عنه وهو موقف عرفته التقاليد اليونانية مع "أوديب".

---

[1] المرجع نفسه،ص119.
[2] نفسه،ص119.
[3] نفسه،ص120.
[4] ماريو فرنسوا غويار،الأدب المقارن،تر:هنري زغيب،ص55،62.
[5] كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،ص224.

- نماذج عامة وشخصيات تاريخية،وهالات أدبية التي هي حصول كاتب على شهرة ورواج عالمي يجعل الأديب وموضوعاته حاضرة بقوة في الآداب المختلفة.

من الضروري جدا معرفة أن دراسة الموضوعات جزء من الأدب المقارن ولكنها ليست جزءا من دراسة المؤثرات؛ومعنى هذا أن المقارن في مجال الموضوعات لا يثير سؤال التأثير والتأثر ولا يحاول رصد هذه العلاقة من حيث أولوية المؤثر زمنيا على المتأثر ولا يجتهد في تحديد المصادر بحكم أن الموضوعات تعاقبت فيها فلا تستدعى البحث عن التأثير[1]،وربما غياب معادلة المؤثرات في دراسة الموضوعات هو ما أزهد الجيل الأول من المقارنين فيها حسب ما رأي الخاص.

3.الوباء موضوعا للأدب المقارن:

موضوع الوباء من الموضوعات الهامة التي تستأثر بالساحة العالمية في مراحل تاريخية معينة هذا ما نقف عليه اليوم مع فيروس "كورنا""COVID19"وما فرضه من تحولات اجتماعية رهيبة،وما أظهره من عيوب على مستوى المنظومات الصحية والاقتصادية العالمية،هذا الوباء بوصفه موضوعا في الأدب حتما وجد طريقه إلى أقلام الكتاب في نصوص مختلفة تراكم تجارب ويوميات الناس معه وما نتج عنه من قناعات وسلوكيات جديدة،وما قد يحدث تجاوزه من أفكار وقناعات كانت بالأمس راسخة،فتفاعل السياقات الثقافية المختلفة مع الوباء يُنتج نصوصا مختلفة حتما موضوعها الأساسي هو الوباء ومضمونها ومعالجاتها متعددة وحتى متناقضة بين الآداب في تنوعاتها الجغرافية والقومية.

في معرض حديثه عن الموضوعات في الأدب المقارن يقدم"هنري باجو"قراءة في موضوع الوباء في الأدب المقارن،مبرزا كيف يقارب المقارن موضوعا ما ويقدم مثالا بالوباء الذي يعتبره موضوعا حاضرا بصورة خاصة في الأدب يتوزع حول مجموعة قيم اجتماعية

[1]مناف منصور،مدخل إلى الأدب المقارن،سعيد عقل وبول فاليري،ص107.

وأخلاقية ودينية،وفي تناوله وجب أولا التفريق بين النصوص البرامج والنصوص المراجع؛فهو يعتبر أنه باستثناء النصوص الدينية(التوراة،الانجيل)وبعض النصوص التاريخية الأسطورية(قصة طاعون أثينا) بقية النصوص هي مراجع(الموت في صقلية)لـ"توماس مان"(الطاعون)لـ"ألبير كامو"و(يومية سنة الطاعون)لـ"دانييل دوفوي"وغيرها من النصوص[1] وهنا"باجو"يقوم بعملية احصائية لهذه النصوص التي تناولت الوباء،ثم يتحدث عن"قراءات فهرسية"إذ يجب أن يُكوّن المقارن لنفسه ملفا من القراءات في طب الوباء في عصره،وعلى الوباء بوصفه ظاهرة من خلال تتبع ما كتب عنها تاريخيا،ويعطى مثالا بكتاب"ولادة الطب التطبيقي"لـ"ميشيل فوكو"الذي يتناول مفهوم "العتبة الوبائية"والتي تُطرح فيها مشكلة الموت الجماعي،ويعتبر"باجو"أنه من المفيد تتبع هذا الأثر في الأدب يقول:"**تُبلغ العتبة الوبائية عندما لا يعود الأحياء قادرين أو عندما لا يعودون يريدون دفن موتاهم والاهتمام بهم تتوقف المشكلة عن أن تكون حسابية خالصة يأتي الوباء ويلغى طقس الموت ويصاب المجتمع في احدى قيمه الأساسية**"[2]

إذن"باجو"في تناوله للوباء موضوعا في الأدب المقارن،تتبع مجموعة خطوات بداية من التفريق بين النصوص البرامج والمراجع،مرورا بعملية احصائية لنصوص الوباء،ثم الحديث عن قراءات فهرسية والتي تعطى للمقارن خلفية معرفية متعددة بالوباء،ومن ثم المقارنة بين النصوص واستخلاص الفروق في النظر للوباء وتحديد التجميعة الأدبية الوبائية بوصفها موضوعا في الأدب المقارن.

4.الموضوعات عربيا:

[1] دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد،ص126.
[2] المرجع نفسه،ص127.

يمكن اعتبار كتاب"في الأدب المقارن ومقالات أخرى"للكاتب المصري"فخري أبو السعود"كتابا تناول الموضوعات في الأدب المقارن في مرحلة زمنية متقدمة-النصف الأول من القرن العشرين-على ظهور الكتابات العربية الأولى في الأدب المقارن،هذا الكتاب الذي كان عبارة عن مقالات منشورة في مجلات ثقافية عربية هامة أبرزها"مجلةالرسالة"وقد تناول فيها مقارنات بين الموضوعات في الأدب العربي والانجليزي،ولم تحض بالرواج الواسع ذلك أن حقل الموضوعات في الأدب المقارن كان مستبعدا عند الجيل الأول من المقارنين غربيا وعربيا،خصوصا ذوي المرجعية الفرنسية،وبحكم أن"فخري أبو السعود"كان ذا ثقافة انجلوسكسونية انتبه إلى أهمية المقارنة بين الموضوعات في الأدب وإن لم تتسم مقارناته بضوابط منهجية واضحة ودقيقة،لكنه قدّم جهودا معتبرة في هذا المجال،فقد عقد مقارنات بين موضوعات متعددة نذكر منها:الفكاهة،الطبيعة،أثر الدين،الخرافة،شخصيات الأدباء،نظام الحكم،الأدب العامي،الانسان،البطولة،الحرب،الحكمة،وكانت هذه المقارنات بين الأدب العربي والأدب الانجليزي يقول في مقال له تحت عنوان:"موضوعات الأدب في الأدبين العربي والانجليزي""**على أن موضوعات الأدب وان تعذر استقصاؤها،يتجمع أكبرها وأخطرها شأنا حول مواضيع رئيسية يكثر طرقها ويعزى إلى واحد منها كل اثر من آثار رجال الأدب،كالنسيب والرثاء مثلا،كما أن أدبا قد يختلف عن أدب في فن يحتفى به ولا يكاد يوجد في غيره أو فنون يدمن طرقها دون غيرها بل يختلف الأدب الواحد في عصر من عصوره عنه في عصر أخر من حيث فنون القول التي يحتفى بها و يقدمها على غيرها...والأدبان العربي والانجليزي قد تناولا أشتاتا من فنون القول وعبرا عما لا يحصى من أفكار الانسان ومشاعره واتفقا في كثير من ذلك لاتفاق الطبيعة الانسانية في**

كل مكان واختلفا في مدى الاحتفال ببعض الفنون والأغراض عن بعضهما لاختلاف بيئات الانسان من إقليم إلى أخر" [1].

نقف في هذا النص على ما يمكن تسميته بالوعي المقارن عند الكاتب،هذا الوعي المتقدم زمنيا والذي و إن غابت فيه الحقيبة الاصطلاحية والعدة المنهجية للمقارن،قدّم تصورا ذكيا في المقارنة بين الموضوعات،فلم يتوقف عند البعد التاريخي للموضوعات بل تعداه إلى طرح الأبعاد البنيوية والشكلية في حديثه عن فنون القول في الأجناس الأدبية وما يناسبها ومالا يناسبها من موضوعات بين الأدبين.

خاتمة:

[1]فخري ابو السعود،في الأدب المقارن ومقالات أخرى،ص180،181.

يتحدث عالم الرياضيات الفرنسي الكبير"هنري بوانكاريه"Henri Poincaré ""1912/1854" عن مفهوم المقارنة في بعدها الإبستيمولوجي،ويرى بأنها أساس المعرفة الإنسانية التي دشّن بها الإنسان دخوله إلى العصور الحديثة،عصور العلم والتنوير،فالمقارنة كأداة لاشتغال العقل البشري منحته القدرة على التمييز والفهم،والعجز عن المقارنة هو عجز عن التفكير والإدراك،هذه المقولة الإبستيمية التي طرحها "بوانكريه"تؤكد على مدى أهمية فعل المقارنة في بناء المعرفة عند الإنسان،في شتى المعارف والعلوم التجريبية والإنسانية ومنها الأدب المقارن كفرع من الدراسات الأدبية والنقدية،وربما هذه نتيجة النتائج التي يمكن أن نقف عليها في هذه السلسة من المحاضرات.

تكثيفا وإجمالا لأهم النتائج يمكن القول:

- تعددت التعريفات للأدب المقارن بتعدد الفهوم والمرجعيات.
- مصطلح الأدب المقارن هو مصطلح إشكالي،والأدق أن نقول الدراسات الأدبية المقارنة،فهي دراسة للأدب وليست أدبا.
- يرتبط ظهور الأدب المقارن بالمد القومي والحاجة للاعتزاز بالثقافة المحلية عند جميع الشعوب وفي كل الثقافات على غرار الثقافة العربية.
- المعرفة باللغات والإلمام بثقافات الشعوب والإطلاع على المؤلفات الكبرى في الأدب والتمكن من الدراسات التاريخية والنقدية،هو ما يلزم الباحث المقارن.
- عُرفت المدرسة الفرنسية بالمدرسة التاريخية لأنها انطلقت من تاريخ الآداب وركزت على دراسة المؤثرات المدعومة بالشواهد التاريخية.
- عُرفت المدرسة الأمريكية بالمدرسة النقدية لأنها انفتحت على المقاربات النقدية من خلال الحفر داخل النصوص.

- يختلف كثير من الباحثين حول صفة المدرسة للممارسات العربية المقارنة،كونها لم ترق إلى تقديم رؤية مستقلة ومتميزة.
- دراسة التيارات الفلسفية والفكرية من أهم ركائز الدراسات المقارنة.
- المقارنة بين الآداب العالمية تؤكد على وجود نماذج بشرية متشابهة تؤسس لفعل المقارنة وتمنحه الشرعية.
- منحت نظرية الأجناس الأدبية بعدا تأسيسا هاما للدراسات المقارنة.
- الحاجة الماسة للباحث المقارن لمعرفة الأساطير وتتبع تحولاتها عند الشعوب المختلفة.
- دراسة الموضوعات في الأدب المقارن لا تهتم برصد المؤثرات،كما أنها تختلف عن دراسة الأساطير.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- إبراهيم عوض،في الأدب المقارن مباحث واجتهادات،المنار للطباعة والكمبيوتر،مصر،ط1 2006
- أحمد درويش،الاستشراق الفرنسي والأدب العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،ط1 1997
- أحمد شوقي رضوان،مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن،دار العلوم العربية،لبنان،ط1، 1990
- أحمد عبد العزيز،نحو نظرية جديدة للأدب المقارن،مكتبة الأنجلوالمصرية،مصر،ط1 2002
- سعيد علوش اشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1، 1986
- سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1 1987
- طه ندا،الأدب المقارن،دار النهضة العربية،لبنان،ط1، 1991
- عبد الحميد إبراهيم،الأدب المقارن من منظور الأدب العربي،دار الشروق،مصر،ط1 1997
- عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات وأفاق،منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريه،ط1 1999
- عبده عبود،هجرة النصوص،منشورات إتحاد الكتاب العرب،سورية،ط 1 ،1995
- لوليدي يونس،الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية،مطبعة انفو برانت،المغرب،ط1 1996

- ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن،منشورات اتحاد الكتاب العرب،سورية،ط1، 2000
- محمد زكي العشماوي،دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن،دار الشروق،مصر،ط 1 1994
- محمد سالم سعد الله،الأسس الفلسفية لنقد مابعد البنيوية،دار الحوار،سورية،ط1 2007
- محمد غنيمي هلال في النقد التطبيقي والمقارن،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،مصردط،دن
- محمد غنيمي هلال،دراسات أدبية مقارنة،دار نهضة مصر للطباعة والنشر،مصر،ط1 1985
- محمد غنيمي هلال،دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب المعاصر،نهضة مصر،مصر،دط،دن
- مناف منصور،مدخل إلى الأدب المقارن،سعيد عقل وبول فاليري،منشورات مركز التوثيق والبحوث،لبنان،ط1 ،1980
- يوسف بكار،خليل الشيخ،الأدب المقارن،منشورات جامعة القدس المفتوحة،لبنان،ط1، 2008

المراجع المترجمة:

- ألكسي لوسيف،فلسفة الأسطورة،تر:منذر بدر حلوم،دار الحوار،سورية،ط1 2000
- تيزفتان تودورف،نظرية الأجناس الأدبية،تر:عبد الرحمان بوعلي،دار نينوى،سورية،ط1 2016

- دانييل هنري باجو، الأدب العام المقارن،تر:غسان السيد منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريه،ط1 1999
- سوزان باسنيت،الأدب المقارن،مقدمة نقدية،تر:أميرة حسن نويرة،المجلس الأعلى للثقافة،مصر،ط1 17،1999.
- كلود بيشو،أندريه روسو،الأدب المقارن،تر:أحمد عبد العزيز،مكتبة الأنجلو المصرية،مصر ط3، 2001
- ليونيل تريلنغ وأخرون،المرآة والخارطة،تر:سهيل نجم،دار نينوى،سورية،ط1 2001

المعاجم والقواميس:

- محمد عاطف غيث،قاموس علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية،مصر،ط1، 2006

المجلات والدوريات:

- مجلة فصول،المجلد الثالث،العدد الثالث،أفريل/ماي1983
- مجلة أفاق للعلومISSN2507-7228،جامعة زيان عاشور الجلفة،عدد جوان 2018

فهرس المحتويات:

الموضوع	الصفحات
مقدمة	5/3
المفهوم والنشأة والتطور 1	9/6
المفهوم والنشأة والتطور 2	13/10
مقومات البحث المقارن	16/14
مدارس الأدب المقارن:الفرنسية	21/17
مدارس الأدب المقارن:الأمريكية	25/22
مدارس الأدب المقارن:السلافية	32/26
مدارس الأدب المقارن:العربية	39/33
مباحث الأدب المقارن:رحلة الآداب	48/40
التأثر والتأثير	39/39
التيارات	53/50
النماذج البشرية	56/54
الأجناس الأدبية	64/57
الأدب والأسطورة	70/65
الموضوعات	76/71
خاتمة	78/77